جهادنا وحروبهم

أبو طلحة الحولي

الإهداء

إلى المجاهدين الابطال .. الذين لهم قدوة حسنة في رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فضربوا أروع الامثلة في التعامل مع الاخر ، وسطروا أجمل السطور في ملاحمهم مع النظام الطاغي فلم يغدروا ، ولم يمثّلوا ، ولم ينهبوا ، ولم يدمروا ، ولم يحرقوا ، بل حفظوا البلاد ، وأغاثوا العباد ، وأمنوا الطرقات ، وحرسوا الممتلكات ..

إلى الكتائب المؤمنة التي لها في صحابة رسول الله قدوة ، فتسمت بأسمائهم ، واقتدت بأفعالهم ..

إلى الثوار الاحرار .. الاطهار .. الذين يعلمون البشرية معنى الاسلام الواقعي المتمثل في أناس يمشون على الارض .. بأفعالهم وتصرفاتهم واقوالهم .

إلى أهل بلاد الشام رجالا ونساء الذين ضحوا في سبيل الله لإخراج العباد من عبادة العبادة إلى عبادة رب العباد ..

إلى البشرية جميعا ليفهموا الاسلام من جديد ..

أهدي هذا الكتاب

المقدمة الثانية

إن الحمد لله،نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعود بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا،من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له،وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله ..

هذا الكتاب كتب في عام 1427هـ وذلك ردا على الحملات المسعورة التي شنها الإعلام الغربي ضد نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ، والإفتراء على الإسلام بأنه دين القتل والدماء والتدمير ، وأنه لم ينتشر إلا بالتهديد والتخويف والسيف .

وتم دفع هذا الكتاب إلى بعض الدور لطباعته إلا أنها اعتذرت ، فعاد إلى رفوف مكتبتي منتظرا الإفراج عنه ..

وقامت الثورة السورية المباركة والكتاب بعيد عني طوال هذه المدة ، حتى التقيت به بفضل من الله في أوائل شهر رمضان هذا العام المبارك 1433 ، فأبقيته على حاله ، مع اضافة بعض الاضافات الطفيفة فيما يتعلق بالثورة ، وإعادة تخريج الأحاديث ، وتصحيح بعض الأخطاء ..

وأسأل الله عز وجل أن ينفع به ، وأن يجعل عملي خالصا لوجهه الكريم إنه رحمن رحيم .

واسأل الله سبحانه وتعالى أن يغيث عباده المستضعفين في بلاد الشام ، وأن يرحم شهدائهم ، ويشفي جرحاهم ، ويفك أسراهم ، وأن يأخذ بيدهم إلى الصراط المستقيم .

وأسأله سبحانه وتعالى أن ينصر الجيش الحر ، ومن عاونهم ، وأن يحفظهم ويحرسهم من مكروه ، وأن يذلل كل صعب أمامهم ، وأن يمدهم بمدد من عنده ، إنه قوي على كل شيء قدير . آمين

أبو طلحة الحولي

17رمضان 1433

مقدمة

الحمد لله رب العالمين القائل في كتابه الكريم { وَلَوْلا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الأَرْضُ وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ } (البقرة : 251)

والصلاة والسلام على الرحمة المهداة ، الذي ارسله الله سبحانه وتعالى رحمة للعالمين ، الموصي قادته وأصحابه عند الغزو أو السرية بتقوى الله في انفسهم وفي غيرهم فيقول : اغزوا باسم الله في سبيل الله . قاتلوا من كفر بالله . اغزوا ولا تغلوا ولا تغدروا ولا تمثلوا ولا تقتلوا وليدا . " (1)

وبعد :

يا حبيبي .. يا رسول الله ، فداك نفسي وأهلي ومالي .. ونحورنا دون نحرك .. واعذرني إن تساءلت : لماذا ارسلك الله سبحانه ؟

هل أرسلك الله لتدمير البشرية ، وافتعال الحروب والقتال ؟

هل بعثك الله عذابا ، ونقمة للإنسانية ؟

هل تعاليمك ورسالتك عنصرية وإرهابية ، تحمل في طياتها الشقاء والقسوة ؟

لا وربي الذي أرسل إبراهيم وموسى وعيسى عليك الصلاة والسلام وعليهم .

معاذ الله ان تكون كذلك وأنت يا حبيبي يا رسول الله الرحمة المهداة .. وقد قلت وقولك الحق " يا أيها الناس انما انا رحمة مهداة " (2)

أرسلك الله بالرحمة { وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ } (الانبياء : 170)

وأرسلك الله للناس جميعا بشيرا ونذيرا { وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيراً وَنَذِيراً وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ } (سبأ : 28)

وجعل رسالتك دين الاسلام اكمل الرسالات وأوفاها بحاجات الناس في مختلف البقاع والأزمان والأماكن .

اللهم صلي على نبينا وحبيبنا وسيدنا محمد كلما ذكره الذاكرون وغفل عن ذكره الغافلون .. وعلى اله صحبه وإخوانه وسلم تسليما كثيرا .. ﷺ

---

1) مسلم 1731

2) صححه الالباني في السلسلة 490.

لم يكف الغرب عن تشويه صورة الاسلام منذ بداية انتشاره حتى يومنا هذا ، في كافة المجالات من كتب تعليمية مدرسية ، او ادبية وعلمية ، وفي ترجمات معاني القرآن الكريم ، المليء بالمغالطات التي تتمشى مع حملة التشهير للحد من انتشار الاسلام ، ومن ذلك ترجمة المستشرق جاك بيرك ، وفي شخصية ومكانة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم .. وتعمل أجهزة الاعلام على تصويره على أنه دين العنف والإرهاب ، والدمار ، وتعمل على ترسيخ هذه الشبهة وتعميقها في عقل المخاطب ، حتى تخيف من الاسلام وتستنفر الجماهير ضده ، وتصوره على أنه الدين الذي " لا يسير إلا بالسيف وأن اتباعه عبارة عن متوحشين وقتلة " واستندوا في تأييد شبهتهم تلك على فريضة الجهاد في الاسلام ، بما تتضمنه من معان توجب ـــ كما يزعمون ـــ قتل المخالف في العقيدة ، وقصر الناس على اعتناق مذهب جديد بحد السيف والقوة والإرهاب !!

ولقد اخذت هذه الشبهة مداها وتأثيرها الى الحد الذي ترى فيه بعض المسلمين اليوم يعتريهم الخجل والندامة من كلمة الجهاد ، ويعتذرون ويقولون : " ما لنا وللقتال انما نحن قوم نؤمن بالدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة ، والخطب والمواعظ ، أما الجهاد فقد نسخ رسميا ، وما عاد له وجود في حياتنا "

وما كان ذلك إلا نتيجة أن الذين دعوا إليها غابت عنهم حقيقة الجهاد ومعناه ، فأظهروا الجهاد الذي يعتبر من مزايا هذه الشريعة وفضائلها على أنه نقيصة تشكك في إنسانية الإسلام ، وسماحته وعدله ، وتتهمه بالإرهاب والدموية ..

وفي هذه الصفحات التي كتبت على عجل بعيدا ـــ عن مكتبتي ـــ نحاول أن نفهم طبيعة هذا الدين ، ونبين حقيقة الجهاد في سبيل الله ، وأهدافه ووسائله ونظامه وآدابه ومثله وقيمه ، ونبين حقيقة الحرب في سبيل الشيطان وأهدافها ووسائلها .. ونسطر صفحة واضحة المعالم تبين جهادنا وحروبهم .. متحلين بالحقيقة العلمية ، بعيدا عن الأهواء ، ولي النصوص ، وتشويه الحقائق .. ولا أدعي أني أتيت بجديد أو شيدت بناء لا عهد للناس به ، وإنما حسبي أن أدافع عن حبيبي رسول الله محمد بن عبد الله ﷺ . ولا أدعي العصمة ومن ظن أنه قد أحاط بالعلم فقد جهل ، سائلا المولى أن يوفقنا للدفاع عن نبينا محمد ﷺ وخدمة دينه والدفاع عنه حتى تكون كلمة الله هي العليا وكلمة الذين كفروا هي السفلى ، وأن يرحمنا ،

وأن يهدي بنا وأن يتقبل منا صالح أعمالنا ، وان يجعل هذا العمل في ميزان حسناتنا إنه مجيب قريب .

سبحان ربك رب العزة عما يصفون * وسلام على المرسلين * والحمد لله رب العالمين

أبو طلحة الحولي

1427/1/11هـ

تمهيد

" لقد جرت عادة الغرب أن يعبروا عن كلمة " الجهاد " " بالحرب المقدسة " إذا أرادوا ترجمتها بلغاتهم . وقد فسروها تفسيراً منكراً . وتفننوا فيها ، وألبسوها ثوباً فضفاضاً من المعاني المموهة الملفقة . وقد بلغ الأمر في ذلك أن أصبحت كلمة الجهاد عندهم عبارة عن شراسة الطبع والخلق والهمجية وسفك الدماء . وقد كان من لباقتهم ، وسحر بيانهم ، وتشويههم لوجوه الحقائق الناصعة ، أنه كلما قرع سمع الناس صوت هذه الكلمة . . الجهاد . . تمثلت أمام أعينهم صورة مواكب من الهمج المحتشدة ، مصلتة سيوفها ، متقدة صدورها بنار التعصب والغضب ، متطايراً من عيونها شرار الفتك والنهب ، عالية أصواتها بهتاف : " الله أكبر " ، زاحفة إلى الأمام ، ما إن رأت كافراً حتى أمسكت بخناقه ، وجعلته بين أمرين : إما أن يقول كلمة : " لا إله إلا الله " فينجو بنفسه ، وإما أن يضرب عنقه ، فتشخب أوداجه دماً !

ولقد رسم الدهان هذه "الصورة " بلباقة فائقة ، وتفننوا فيها بريشة المتفنن المبدع ، وكان من دهائهم ولباقتهم في هذا الفن أن صبغوها بصبغ من النجيع الأحمر ، وكتبوا تحتها:

" هذه الصورة مرآة لما كان بسلف هذه الأمة من شره إلى سفك الدماء ، وجشع إلى الفتك بالأبرياء " !

وهذه الصورة وللأسف الشديد يرددها الكثير من ابناء جلدتنا ، المتكلمين بألسنتنا ، والعجب كل العجب ، أن الذين عملوا على هذه الصورة ، وقاموا بما كان لهم من حظ موفور في إبرازها وعرضها على الأنظار ، هم الذين مضت عليهم قرون وأجيال يتقاتلون ويتناحرون فيما بينهم إرضاء لشهواتهم الدنيئة وإطفاء لأوار مطامعهم ، وتلك هي حربهم الملعونة غير المقدسة التي أثاروها على الأمم المستضعفة في مشارق الأرض ومغاربها ، وجاسوا خلال ديارهم يبحثون عن أسواق لبضائعهم وأراض لمستعمراتهم التي يريدون أن يستعمروها ، ويستبدوا بمنابع ثروتها دون أصحابها الشرعيين ، ويفتشون عن المناجم والمعادن ، وعما تغله أرض الله الواسعة من الحاصلات التي يمكن أن تكون غذاء لبطون مصانعهم ومعاملهم ، يبحثون عن كل ذلك وقلوبهم كلها جشع وشره إلى المال والجاه . وبين أيديهم الدبابات المدججة ، وفوق رؤوسهم الطائرات المحلقة في جو السماء ، ووراء ظهورهم مئات الألوف

من العساكر المدربة يقطعون على البلاد سبل رزقها ، وعلى أهاليها الوادعين طريقهم إلى الحياة الكريمة ، يريدون بذلك أن يهيئوا وقوداً لنيران مطامعهم الفاحشة التي لا تزيدها الأيام إلا التهاباً واضطراباً ، فلم تكن حروبهم في "سبيل الله" ، وإنما كانت في سبل شهواتهم الدنيئة ، وأهوائهم الذميمة " [1]. ويمكن ان نظهر سوء الفهم لهذه الفريضة الجهاد من خلال امرين :

١. بيان هدف الجهاد وغايته

٢. بيان اسلوب تحقيق هذا الهدف .

فان كان الهدف جليلا والوسيلة قبيحة اعتبر الفعل قبيحا ..

وإذا كانت الوسيلة مشروعة والهدف ممنوعا ، كان الفعل قبيحا ايضا ..

اما اذا جمع بين شرف الغاية وشرف الوسيلة فانه يحكم على الفعل بالحسن والمشروعية ..[2]

وقبل ان نتحدث عن هدف الجهاد ووسائله نحب ان نذكر اهمية هذا اللفظ " الجهاد " من حيث اللغة والاصطلاح والفرق بينه وبين لفظ " الحرب" ، ثم قد يتساءل البعض ما هو نظام وطبيعة هذه الحرب التي لا بد لها من هدف ووسيلة ؟

لفظ الحرب

عرف الناس لفظ الحرب قديما وحديثا ، وتداولوه في حياتهم اليومية وأحاديثهم ، وهو في اللغة : الحَرْبُ: نَقِيضُ السِّلم، أُنثى، وأَصلُها الصِّفةُ كَأَنها مُقاتَلَةٌ حَرْبٌ وقال الأزهري: أَنَّثُوا الحَرْبَ، لأَنهم ذَهَبُوا بها إلى الـــمُحارَبةِ، وكذلك السِّلْمُ والسَّلْمُ، يُذْهَبُ بهما إلى المُسالمةِ فتؤنث.

ودار الحَرْب: بلادُ المشركين الذين لا صُلْح بينهم وبين المسلمِين . وقد حارَبه مُحارَبةً وحِرابًا وتَحارَبُوا واحْتَرَبُوا وحارَبُوا بمعنى. [1]

وفي الموسوعة العربية الميسرة :

---

[1]) الجهاد في سبيل الله ابو الاعلى المودودي

[2]) انظر الثقافة الاسلامية ثقافةالمسلم وتحديات العصر ص332

[1]) لسان العرب مادة حرب .

حرب : قتال مسلح بين دولتين ذات سيادة (حرب دولية) او بين جماعتين في دولة (حرب اهلية) يعمها تخريب وتدمير قوات المتحاربين وممتلكاتهم وغير المتحاربين ، هدف الحرب : املاء شروط معينة على الفريق المهزوم ، وتستهدف الدولة المحاربة اما تحقيق الاستقلال او اقتطاع اقليم ، او الحصول على بعض المزايا ، او اتباع سياسة معينة ، او املاء عقيدة دينية او مذهب سياسي او حماية تلك مناي عبث . اذا نشبت الحرب من اجل الدفاع عن النفس سميت حربا دفاعية ، وإذا نشبت على ارض اجنبية بشكل اعتداء سميت حربا هجومية ، وفيما بين الاثنين كانت وقائية وهي التي تهاجم فيها دولة قوية لمنعها من الاعتداء الذي تدبره للأخرى في الوقت المناسب ، وقد اصبح مألوفا ان يطلق زعماء الدول المحاربة على حروبهم انها قتال من اجل الدفاع ، تتفاعل العوامل الاقتصادية والجنسية والدينية والمذهبية لتسبب الحرب الاستعمارية والقومية والعسكرية والدبلوماسية السرية . ومع ان قوانين الحرب قد صيغت لتخفيف بعض ويلاتها فإن ما طرأ على التسليح الحديث من التحسينات ضاعف الخسائر في الارواح والموارد .[2]

ولفظ الحرب لفظ دموي يوحي بالدمار والخراب ، والتشريد ، ويتبادر الى الذهن : لمصلحة من يوقد نارها ، يشتد سعيرها ؟

وتنفيرا من هذا الاسم نهى النبي ﷺ عن التسمي به ، فقال ﷺ " تسموا بأسماء الأنبياء وأحب الأسماء إلى الله عبد الله وعبد الرحمن وأصدقها حارث وهمام وأقبحها حرب ومرة "[3] وقد كان اهل الجاهلية يسمون بذلك ابنائهم ، فنبه المسلمين على قبح هذا الاسم .

لفظ الجهاد

الجَهْدُ و الجُهْدُ: الطاقة، تقول: اجْهَد جَهْدَك؛ وقيل: الجَهْد المشقة و الجُهْد الطاقة ، جاهَدَ العدوَّ مُجاهَدة و جِهاداً: قاتله و جاهَد في سبيل اللَّه، و الجِهاد: المبالغة واستفراغ الوسع في الحرب أَو اللسان أَو ما أَطاق من شيء .[1]

---

[2]) الموسوعة العربية الميسرة 695/1

[3]) ابو داود في الادب (4950) وصححه الالباني .

[1]) لسان العرب مادة جهد .

ولفظ الجهاد لفظ يوحي بالأمان والسلام ، ويتبادر الى الذهن : في سبيل من يجاهدون ؟

والجهاد مصطلح اسلامي شامل يدخل فيه جهاد النفس في طاعة الله تعالى وترك معاصيه، وجهاد الشيطان وجهاد المنافقين، وجهاد الكفار

و لم يتخذ القرآن الكريم من لفظ الحرب مصطلحا شائعا ، وإنما استعمل مصطلحا اخر اقل شيوعا ومميزا وهو لفظ الجهاد " فورد لفظ " الجهاد" في القرآن : 40 مرة بينما ورد لفظ " حرب " 6 مرات .[2]

ولا يذكر في القرآن الكريم لفظ (القتال) او (الجهاد) إلا وهو مقرون بعبارة (سبيل الله) وذلك يدل على ان الغاية من القتال غاية مقدسة نبيلة هي (اعلاء كلمة الله) لا السيطرة او المغنم او اظهار الشجاعة او الاستعلاء في الارض وقد وضح هذه الغاية النبيلة قوله ﷺ " من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله " [3]

" والإسلام يتجنب الكلمات الشائعة في دعوته وبيان منهجه العملي – شأن غيره من الدعوات الفكرية والمناهج الانقلابية – بل يؤثر لذلك لغة من المصطلحات خاصة ، لئلا يقع الالتباس بين دعوته وما إليها من الأفكار والتصورات ، وبين الأفكار والتصورات الشائعة الرائجة . " فالجهاد" أيضاً من الكلمات التي اصطلح عليها الإسلام لأداء مهمته وتبيين تفاصيل دعوته . فأنت ترى أن الإسلام قد تجنب لفظة [الحرب] وغيرها من الكلمات التي تؤدي معنى القتال في اللغة العربية ، واستبدل بها كلمة في اللغة الإنجليزية . غير أن لفظة [الجهاد] أبلغ منها تأثيراً ، وأكثر منها إحاطة بالمعنى المقصود . فما الذي أفضى بالإسلام إلى أن يختار هذه الكلمة الجديدة ، صارفاً بوجهه عن الكلمات القديمة الرائجة ؟ الذي أراه وأجزم به أنه ليس لذلك إلا سبب واحد : وهو أن لفظة "الحرب" كانت ولا تزال تطلق على القتال الذي يشب لهيبه وتستعر ناره بين الرجال والأحزاب والشعوب لمآرب شخصية وأغراض ذاتية والغايات التي ترمي إليها أمثال هذه الحروب لا تعدو أن تكون مجرد أغراض شخصية أو

---

[2]) انظر المعجم المفهرس لالفاظ القرآن محمد فؤاد عبد الباقي

3) روائع البيان تفسير ايات الاحكام محمد علي الصابوني 226/1 دار احياء التراث العربي 1418هـ 1997م والحديث رواه البخاري 3126 ومسلم 1904

اجتماعية ، لا تكون فيها رائحة لفكرة أو انتصار لمبدأ . وبما أن القتال المشروع في الإسلام ليس من قبيل هذه الحروب ، لم يكن له بد من ترك هذه اللفظة [الحرب] البتة .[1]

ويبين الإمام ابن القيم رحمه الله تعالى حقيقة الجهاد بمعناه العام وأنواعه فيقول: "لما كان الجهاد ذروة سنام الإسلام وقُبَّته، ومنازلُ أهله أعلى المنازل في الجنة، كما لهم الرفعةُ في الدنيا، فهم الأعلون في الدنيا والآخرة، كان رسول الله صلى الله عليه وسلم في الذِّروةِ العُليا منه، واستولى على أنواعه كلِّها فجاهد في الله حقَّ جهاده بالقلب والجَنانِ، والدعوة والبيان، والسيف، والسِّنَانِ، وكانت ساعاته موقوفة على الجهاد، بقلبه، ولسانه، ويده· ولهذا كان أرفعَ العالمين ذِكرًا، وأعظمهم عند الله قدرًا·

وأمره الله تعالى بالجهاد من حين بعثه، وقال: {وَلَوْ شِئْنَا لَبَعَثْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ نَذِيراً فَلا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَجَاهِدْهُمْ بِهِ جِهَاداً كَبِيراً} (الفرقان:51-52).

فهذه سورة مكية أمر فيها بجهاد الكفار، بالحُجة، والبيان، وتبليغ القرآن· وكذلك جهادُ المنافقين إنما هو بتبليغ الحُجَّة، وإلا فهم تحت قهر أهل الإسلام؛ قال تعالى: { يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ } (التوبة:73).

فجهادُ المنافقين أصعبُ من جهاد الكفار، وهو جهادُ خواصِّ الأمة، وورثة الرُّسل، والقائمون به أفرادٌ في العالم، والمشاركُون فيه، والمعاونون عليه، وإن كانوا هُم الأقلين عددًا، فهم الأعظمون عند الله قدرًا·

ولما كان من أفضل الجهاد قولُ الحقِّ مع شدة المُعارِضِ، مثلَ أن تتكلم به عند من تُخاف سَطوتهُ وأذاه، كان للرسلِ – صلواتُ الله عليهم وسلامُهُ – مِن ذلك الحظُّ الأوفَرُ، وكان لنبينا – صلوات الله وسلامه عليه – من ذلك أكملُ الجهاد وأتمُّه·

ولما كان جهاد أعداءِ الله في الخارج فرعًا على جهادِ العبد نفسه في ذاتِ الله؛ كما قال النبيُّ صلى الله عليه وسلم: " المجاهِدُ مَنْ جَاهَدَ نَفْسَهُ في طَاعَةِ الله ، والمُهاجِرُ مَنْ هَجَرَ ما نَهَى الله عنه" [2]

---

[1]) الجهاد في سبيل الله ابو الاعلى المودودي

2) رواه أحـــمد: (21/6)، وقال محقق زاد المعاد "الأرناؤوط": "سنده جيد ، وصححه ابن حبان: (25)، والحاكم: (11/1)، ووافقه الذهبي . وصححه الالباني في السلسلة 549

كان جهادُ النفس مُقدَّماَ على جهاد العدوِّ في الخارج، وأصلاً له؛ فإنه ما لم يُجاهد نفسه أولاً لتفعل ما أُمِرَتْ به، وتترك ما نُهيت عنه، ويُحارِبها في الله، لم يمكنه جهادُ عدوه في الخارج، فكيف يُمكِنُهُ جهادُ عدوه والانتصاف منه، وعدوُّه الذي بين جنبيه قاهرٌ له، متسلطٌ عليه، لم يُجاهده، و لم يُحاربه في الله، بل لا يُمكنه الخروجُ إلى عدوه، حتى يُجاهد نفسه على الخروج.

فهذان عدوَّانِ قد امتُحِنَ العبدُ بجهادهما، وبينهما عدوٌ ثالث، لا يمكنه جهادُهما إلا بجهاده، وهو واقف بينهما يُثَبِّطُ العبدَ عن جهادهما، ويُخَذِّلُه، ويُرجِفُ به، ولا يزالُ يُخَيِّل له ما في جهادهما من المشاق، وترك الحظوظ، وفوت اللذات، والمشتهيات، ولا يُمكنه أن يُجاهِدَ ذَيْنكَ العدويْنِ إلا بجهاده، فكان جهادُه هو الأصل لجهادهما، وهو الشيطان؛ قال تعالى: { إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا } (فاطر: الآية 6). والأمر باتخاذه عدوًا تنبيه على استفراغ الوسع في محاربته ومجاهدته، كأنَّهُ عدو لا يفتر،ولا يُقصِّر عن محاربة العبد على عدد الأنفاس.

فهذه ثلاثة أعداء، أُمِرَ العبد بمحاربتها وجهادها، وقد بُلي بمحاربتها في هذه الدار، وسُلِّطت عليه امتحاناً من الله له وابتلاء، فأعطى الله العبد مدداً وعُدَّةً وأعوانًا وسلاحًا لهذا الجهاد، وأعطى أعداءه مددًا وعُدَّةً وأعوانًا وسلاحًا، وبَلاَ أحدَ الفريقين بالآخر، وجعل بعضهم لبعض فتنة ليبلُوَ أخبارهم، ويمتحن من يتولاه، ويتولى رسله ممن يتولى الشيطان وحزبه؛ كما قال تعالى: { وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيراً }(الفرقان: الآية 20) ، وقال تعالى: { ذَلِكَ وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لانْتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَكِنْ لِيَبْلُوَ بَعْضَكُمْ بِبَعْضٍ }(محمد: الآية 4)، وقال تعالى: { وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ } (محمد:31).

إذا عُرِفَ هذا فالجهاد أربع مراتب:

جهاد النفس – وجهاد الشيطان – وجهاد الكفار – وجهاد المنافقين.

فجهاد النفس أربع مراتب أيضاً:

إحداها: أن يجاهدها على تعلُّم الهُدى ، ودين الحق الذي لا فلاح لها، ولا سعادة في معاشها ومعادها إلا به، ومتى فاتها عِلمُه، شقيت في الدَّارين.

الثانية: أن يُجاهدها على العمل به بعد علمه، وإلا فمجرَّدُ العلم بلا عمل إن لم يَضُرَّها لم ينفعْها.

الثالثة: أن يُجاهدها على الدعوة إليه وتعليمه من لا يعلمه، وإلا كان من الذين يكتمون ما أنزل الله من الهُدى والبينات، ولا ينفعه علمُهُ، ولا يُنجيه من عذاب الله.

الرابعة: أن يُجاهدها على الصبر على مشاقِّ الدعوة إلى الله، وأذى الخلق، ويتحمَّل ذلك كله لله. فإذا استكمل هذه المراتب الأربع، صار من الرَّبَّانيينَ؛ فإن السلف مجمِعُونَ على أن العَالِمَ لا يستحقُّ أن يُسمى ربانيًا حتى يعرف الحقَّ، ويعمل به، ويُعَلِّمَه، فمن علم وعَمِلَ وعلَّمَ فذاك يُدعى عظيماً في ملكوت السماوات.

وأما جهاد الشيطان، فمرتبتان:

إحداهما: جهادُه على دفع ما يُلقي إلى العبد من الشبهات والشكوكِ القادحة في الإيمان.

الثانية: جهادهُ على دفع ما يُلقي إليه من الإرادات الفاسدة والشهوات. فالجهادُ الأول يكون بعُدة اليقين، والثاني يكون بُعدة الصبر؛ قال تعالى: {وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ} (السجدة:24).

فأخبر أن إمامة الدين إنما تُنال بالصبر واليقين؛ فالصبر يدفع الشهوات والإرادات الفاسدة، واليقين يدفع الشكوك والشبهات.

وأما جهاد الكفار والمنافقين ، فأربع مراتب:

بالقلب، واللِّسان، والمال، والنفس، وجهادُ الكفار أخصُّ باليد، وجهادُ المنافقين أخصُّ باللسان.

وأما جهاد أرباب الظلم، والبدع، والمنكرات، فثلاث مراتب:

الأولى: باليد – إذا قَدَرَ – فإن عَجَزَ انتقل إلى اللسان، فإن عَجَزَ جاهد بقلبه، فهذه ثلاثة عشر مرتبة من الجهاد، و " من مات و لم يغزُ ، وَلَمْ يُحَدِّثْ نَفْسَهُ بالغَزْوِ، مَاتَ عَلَى شُعْبَةٍ من النفاق" [1] وأكملُ الخلق عند الله ، من كمَّلَ مراتِبَ الجِهاد كُلَّهَا، والخلق متفاوتون في منازلهم عند الله، تفاوتهم في مراتب الجهاد، ولهذا كان أكمل الخلق وأكرمهم على الله خاتمُ أنبيائه ورُسُلِهِ؛ فإنه كمَّل مراتبَ الجهاد وجاهد في سبيل الله حقهَ جهاده .."[2]

---

[1]) رواه مسلم (1910) في الإمارة: باب ذم من مات و لم يحدث نفسه بالغزو ، وأبو داود: (2502).والنسائي (3097)

2) زاد المعاد في هدي خير العباد ابن القيم تحقيق : شعيب الأرناؤوط مؤسسة الرسالة (3/5-12) مختصراً.

نظام الجهاد

أما عن نظام وطبيعة هذا الجهاد ـــ الذي لا بد له من هدف ووسيلة ـــ فهو :

1- حين تتأكد الأمة من نية العدوان والغدر لدى امة من الأمم ضدها ، يجب عليها ان تستعد بكل ما تملك من قوة { وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدْوَّ اللّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لاَ تَعْلَمُونَهُمُ اللّهُ يَعْلَمُهُمْ } (الأنفال : 60) فهو استعداد لتخويف الاعداء لا للاعتداء .

2- فإن كف العدو عن فكرة العدوان ، وعدل عن الحرب وجب على الأمة ان تجنح للسلم وتدخل فيه { وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ } (الأنفال : 60)

3- وان أبى العدو إلا الحرب والعدوان فجزاء سيئة سيئة مثلها { اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُواْ عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ وَاتَّقُواْ اللّهَ وَاعْلَمُواْ أَنَّ اللّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ } (البقرة : 194)

4- فان بدأت الحرب فلتخفف ويلاتها بقدر ما يمكن ولذلك جازت الخديعة في الحرب " الحرب خدعة " [1] بمعنى إحباط مناورات العدو وخططه وتثبيط عزيمته فإن في ذلك إنهاء الحرب وإقرار السلام بأقل ما يمكن من الزمن ، واقل ما يقع من الضحايا .

5- فإذا حمى الوطيس فليثبت المقاتلون وليستمدوا عونهم من الله وليذكروا الله كثيرا { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُواْ وَاذْكُرُواْ اللّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ } (الانفال : 45) اذكروا الله دائما لتذكروا دائما انكم لا تقاتلون رياء ولا حمية ، ولا ثأرا ولا استعلاء وإنما تحاربون في سبيل الله ، فحذار ان تتحول نيتكم اثناء القتال الى معنى من المعاني التي يحارب من اجلها الاعداء فتكونوا مثلهم معتدين ظالمين.

6- وحين تشتعل نار الحرب يجب ان تضيق حدودها حتى لا يصطلى بنارها إلا من قاتل فلا تؤاخذ امة العدو كلها بجريرة جيشها او فريق منها اعتدوا على امتنا { وَقَاتِلُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلاَ تَعْتَدُواْ إِنَّ اللّهَ لاَ يُحِبِّ الْمُعْتَدِينَ } (البقرة : 190)

وهنا يسمو الاسلام الى منتهى الانسانية حين يحرم قتل الشيخ الكبير والعاجز والمرأة والصبي ورجل الدين المنقطع للعبادة والفلاح والمسالم الذي لم يشترك في القتال . وحسبنا ان

---

[1]) رواه البخاري(3030)ومسلم (1739)

نذكر وصية ابي بكر الصديق لأول جيش خرج من الجزيرة العربية ليرد عدوان الروم المبيت على دولة الاسلام الفتية ، وهي وصايا تجعل ابا بكر على قمة الخلود بين رجال التاريخ وقادة الأمم مدنيين وعسكريين ، إذ يقول " لا تمثلوا ولا تقتلوا طفلا صغيرا ولا شيخا كبيرا ولا امرأة ولا تعقروا نخلا ولا تحرقوه ، ولا تقطعوا شجرة مثمرة ولا تذبحوا شاة ولا بقرة ولا بعيرا إلا لمأكلة، وسوف تمرون بأقوام قد فرغوا أنفسهم في الصوامع فدعوهم وما فرغوا أنفسهم له " هذه هي وصايا الأمة التي تحارب بروح مسالمة وتأبى أن تنقلب الى أمة معتدية تنطلق وراء غرائزها وثاراتها تخرب وتنتقم .

7- فإذا رغب المحاربون في الصلح عند اشتداد المعركة وجب ان نقبل الصلح منهم ولو أشرفنا على النصر ثم الوفاء بما تم عليه العهد { وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ وَلَا تَنْقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا ۚ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ } (النحل : 91) فإذا بدا منهم بعد ذلك نية الغدر والخيانة فلا يجوز ان نفاجئهم بالقتال بل ولا بد من اخبارهم بانتهاء العهد بيننا وبينهم وفسح المجال لهم ليستعدوا لحربنا وقتالنا وهذا هو النبذ الوارد في الاية الكريمة { وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِنْ قَوْمٍ خِيَانَةً فَانْبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءٍ إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ }(الانفال:58)

8- وإذا انتهت المعركة باستسلام العدو وانتصار الامة فلا عدوان على الاعراض ، ولا تخريب للمدن ، ولا استلاب للأموال ولا اذلال للكرامات ولا اندفاع وراء الثأر والانتقام ، وإنما هو الاصلاح والتحرير والعدالة ونشر الخير ومكافحة الشر { الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ } (الحج : 41)

فهذه الاية نص على ما يجب ان تفعله الامة المنتصرة بعد انتهاء الحرب وهي امور اربعة :

١. اقامة الصلاة ، وهذا رمز لإشاعة السمو الروحي في العالم .

٢. ايتاء الزكاة ، وهذا رمز لتحقيق العدالة الاجتماعية في الشعوب .

٣. الامر بالمعروف وهذا رمز للتعاون على كل ما فيه خير للناس وأمنهم وسعادتهم .

٤. النهي عن المنكر وهذا رمز للوقوف في وجه الشر الذي يعجل بالحرب ويفوت على الناس السلام والأمان .

وتلك لعمري هي اسمى ما تعمل له امة متمدنة في ارقى عصور الانسانية حضارة وأكثرها خيرا .

9- اما الاسرى فلا يجوز تعذيبهم ولا التمثيل بهم ولا تعريضهم للجوع والسغب { وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا * إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلاشُكُورًا } (الانسان : 8-9) ثم الدولة مخيرة فيهم بين اطلاق سراحهم من غير فداء ، وبين اخذ الفداء من اسرى او مال { حَتَّى إِذَا أَثْخَنتُمُوهُمْ فَشُدُّوا الْوَثَاقَ فَإِمَّا مَنًّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاء حَتَّى تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا } (محمد : 4)

10- اما المغلوبون فتحترم عقائدهم ودماؤهم وأموالهم ومعابدهم ولهم حماية الدولة وحقوق المواطنين ولا يكلفون إلا بالإخلاص للدولة ودفع مبلغ زهيد يسمى " الجزية " .، وهذه الجزية فرضها الاسلام لحماية المغلوبين في اموالهم وعقائدهم وأعراضهم وكرامتهم وتمكينهم من التمتع بحقوق الرعوية مع المسلمين الفاتحين سواء بسواء ..[1]

هذه بعض الانظمة المتبعة بل الواجب ابتاعها في الحرب وأثناؤه ، لأن الجهاد والقتال لله ، " لا لأي هدف آخر من الأهداف التي عرفتها البشرية في حروبها الطويلة . القتال في سبيل الله . لا في سبيل الأمجاد والاستعلاء في الأرض ، ولا في سبيل المغانم والمكاسب ؛ ولا في سبيل الأسواق والخامات ؛ ولا في سبيل تسويد طبقة على طبقة أو جنس على جنس . . إنما هو القتال لتلك الأهداف المحددة التي من أجلها شرع الجهاد في الإسلام ، القتال لإعلاء كلمة الله في الأرض ، وإقرار منهجه في الحياة ، وحماية المؤمنين به أن يفتنوا عن دينهم ، أو أن يجرفهم الضلال والفساد ، وما عدا هذه فهي حرب غير مشروعة في حكم الإسلام ، وليس لمن يخوضها أجر عند الله ولا مقام ." [2]

---

[1]) نظام السلم والحرب مصطفى السباعي دارالوراق ص 42

[2]) في ظلال القرآن 187/1

أهداف الجهاد في سبيل الله

ذكرنا أن إيضاح سوء الفهم لفريضة الجهاد يتبلور من خلال أمرين : بيان الهدف وبيان الوسائل ولتحقيق هذا الهدف :

يذكر ابن خلدون المؤرخ الكبير ومؤسس علم الاجتماع في مقدمته ، أربعة أسباب لنشوب الحرب وتحدد طبيعة الحرب بين القبائل والدول ومدى عدالتها او بطلانها فيقول :

١. الغيرة والمنافسة : ويكون ذلك بين القبائل المتجاورة والعشائر المتناظرة .

٢. العدوان : ويجري ذلك بين الامم الوحشية

٣. غضب لله ولدينه : وهو المسمى في الشريعة الجهاد في سبيل الله

٤. غضب للمُلك : وهي حروب الدول مع الخارجين عليها والمانعين لطاعتها.

فهذه اربعة اصناف من الحروب الصنفان الاولان منها حروب بغي وفتنة ، والصنفان الاخيران حروب جهاد وعدل .[1]

ولما كان الإسلام دينا لكل زمان ومكان فليس بغريب إذن أن نجده الدين الذي يواجه الواقع ، ولا يفر منه ما دامت في الدنيا نفوس لها نوازع وأهواء ومطامع ، وما دام هناك ناموس تنازع البقاء سواء الأفراد أو الجماعات ، لا بد إذن من اختلاف الأهواء والمطامع التي تتم على أشكال متعددة ، والتي من بين صورها المخاصمة أو التهديد أو الاشتباك أو الحرب ، وحين تكون الحرب لردع المعتدي ، وكف الظلم ، ونصرة الحق ، والانتصاف للمظلوم ، تكون في هذه الحالة فضيلة من الفضائل ، وتنتج الخير والبركة ، أما إذا كانت حرب تحيز وفساد واعتداء على الضعفاء ، ففي هذه الحالة إنما تكون رذيلة اجتماعية ، وتنتج السوء والشر[2] قال تعالى { وَلَوْلا دَفْعُ اللّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَكِنَّ اللّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى العَالَمِينَ } (البقرة : 251)

تلك هي نظرة الإسلام نحو تقرير الحرب ، وكيف أنها ضرورة اجتماعية ، أو أنها شر لابد من الوقوع فيه ، ثم العمل على القضاء عليه ، ذلك لان الحرب شرعت لأهداف سامية ، ومقاصد نبيلة منها العدل والرحمة ، فالإسلام يواجه منهج حياة يواجه البشرية كلها ويدعوها

---

[1]) مقدمة بن خلدون ص 287 مؤسسة الكتب الثقافية

[2]) حسن البنا ، السلام في الاسلام ص 31

إلى تطبيقه ونشره والاعتصام به ، لكونه الطريق إلى تحقيق السلم ونشر الحرية والأمن في ربوع المعمورة .

" و لم يكن الجهاد من اجل فرض العقيدة على الناس { لا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الغَيِّ } (البقرة : 256)

{ أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ } (يونس : 99)

إنما كان الجهاد من أجل أمر آخر هو إزالة العقبات التي تحول بين الناس وبين الاستماع إلى الحق كما هو على حقيقته ، متمثلة تلك العقبات في نظم جاهلية تحميها جيوش جاهلية ، وحكومات جاهلية ، فإذا أزيلت هذه العقبات فالناس أحرار يختارون لأنفسهم ما يقتنعون به بغير إكراه .

إن الحق لا يصل للناس مجردا بمجرد أن تلقى بهم إليهم ، في بيان أو كتاب أو درس أو محاضرة أو إعلان ، فإنما تنكسر الأفكار كما ينكسر الضوء حين يخرج من وسط ذي كثافة مختلفة ، فلا يصل شعاع الحق مستقيما إلى الناس حين يكونون محاطين بغلاف معين من الأفكار والنظم ، التي تحميها قوة ذات ثقل ، فأما إذا زالت القوة التي تحمي تلك الأفكار والنظم فالناس أحرى يومئذ أن يروا ما في واقعهم من زيف وما في الدعوة التي يدعون إليها من حق ، فان دخلوا في الحق فبها ونعمت ، وان اختاروا الباطل وأصروا عليه فلهم ذلك ، على مسئوليتهم !! تلك حقيقة الجهاد في الإسلام ..[1]

1- حماية حرية العقيدة :

لقد أرسل الله الاسلام الى الناس جميعا وبذلك على المسلمين تبليغ هذا الدين و " أن تحطم كل قوة تعترض طريق الدعوة وإبلاغها للناس في حرية ، أو تهدد حرية اعتناق العقيدة وتفتن الناس عنها . وأن تظل تجاهد حتى تصبح الفتنة للمؤمنين بالله غير ممكنة لقوة في الأرض ، ويكون الدين لله . . لا بمعنى إكراه الناس على الإيمان . ولكن بمعنى استعلاء دين الله في الأرض ، بحيث لا يخشى أن يدخل فيه من يريد الدخول ؛ ولا يخاف قوة في الأرض تصده

[1]) كيف نكتب التاريخ الاسلام محمد قطب ص 54 دار الوطن 1412هـ

عن دين الله أن يبلغه ، وأن يستجيب له ، وأن يبقى عليه . وبحيث لا يكون في الأرض وضع أو نظام يحجب نور الله وهداه عن أهله ويضلهم عن سبيل الله . بأية وسيلة وبأية أداة .

وفي حدود هذه المبادئ العامة كان الجهاد في الإسلام.

وكان لهذه الأهداف العليا وحدها ، غير متلبسة بأي هدف آخر ، ولا بأي شارة أخرى .

إنه الجهاد للعقيدة . لحمايتها من الحصار ، وحمايتها من الفتنة ، وحماية منهجها وشريعتها في الحياة ، وإقرار رايتها في الأرض بحيث يرهبها من يهم بالاعتداء عليها قبل الاعتداء ، وبحيث يلجأ إليها كل راغب فيها لا يخشى قوة أخرى في الأرض تتعرض له أو تمنعه أو تفتنه .

وهذا هو الجهاد الوحيد الذي يأمر به الإسلام ، ويقره ويثيب عليه ؛ ويعتبر الذين يقتلون فيه شهداء ؛ والذين يحتملون أعباءه أولياء .[1]

" وليست حرية العقيدة هي المطلوبة للأمة التي تعلن الحرب فحسب ، بل عليها أن تضمن حرية العقائد كلها ، وتحمي أماكن العبادة لكل الديانات { وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا } (الحج : 40)" [2]

2- نشر الدعوة وتأمين وصوله الى البشرية

من اهداف الجهاد نشر دعوة الاسلام وتأمين وصوله الى افراد البشرية جمعاء ، ذلك انه قد يقف بعض الحكام حاجزا وحائلا بين دعوة الاسلام العالمية وبين الشعوب المستضعفة والمقهورة فيكون الجهاد في سبيل الله هو الوسيلة لتخليص الشعوب والأمم من القهر والظلم والاستبداد ، ولإعطائها الحق في اختيار العقيدة التي تريدها وترضى بها ، لا العقيدة التي يكره عليها السادة والقادة والزعماء .

وعليه تعلم مقدار انسانية الاسلام في هذا الهدف حيث يقدم المسلمون دماءهم وأموالهم لتخليص بني الإنسان من الذل والقهر الذي يعيشونه من جراء الانظمة الظالمة والمستبدة .[3] وبذا يكون الجهاد لصالح الناس انفسهم ، ذلك ان الاسلام رسالة اجتماعية

---

[1]) في ظلال القرآن 187/1

[2]) من روائع حضارتنا مصطفىالسباعي ص 97 المكتب الاسلامي ط1405/4هـ 1985م

[3]) دراسات وبحوث في الفكر الاسلامي المعاصر د. فتحي الدريني 122/3 ط1 دار قتيبة 1418هـ 1998م

اصلاحية شاملة تنطوي على افضل مبادئ الحق والخير والعدل للناس جميعا كما قال تبارك وتعالى لنبي الاسلام محمد ﷺ { وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ } (سبأ: 28) فلابد اذن من العمل على ازالة كل عقبة تمنع من ابلاغها ، ولا بد كذلك من معرفة موقف مل فرد وكل امة بعد هذا البلاغ ، وعلى ضوء هذا التحديد يكون معاملة الاسلام وأهله للناس ، فالمؤمنون اخواهم ، والمعاهدون لهم عهدهم ، وأهل الذمة يوف لهم بذمتهم ، والأعداء المحاربون ومن تخشى خيانتهم ينبذ اليهم ، فان عدلوا عن خصومتهم فبها ، وإلا حوربوا جزاء اعتدائهم حتى لا يكونوا عقبة في طريق دعوة الحق ، او مصدر تهديد وخيانة لأهلها .[4]

كانت الدعوة هي روح الجهاد في سبيل الله وهي الغاية التي جاهد المسلمون من اجلها ، و لم يقاتل احد من المشركين إلا بعد دعوته الى الاسلام وترغيبه فيه ، وما كان الجهاد إلا لحماية الدعوة لا لإكراه الناس على الاسلام بل كان لفتح الطريق الى الدعوة الى الاسلام وحمايتها " [1]

3- الدفاع عن الاوطان

ومن اهداف الجهاد ايضا رد العدوان عن المسلمين والواقع على انفسهم وأموالهم او بلادهم او اعراضهم .. قال تعالى { وَقَاتِلُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلاَ تَعْتَدُواْ إِنّ اللّهَ لاَ يُحِبّ الْمُعْتَدِينَ } (البقرة: 190) ومثل هذه الحروب مشروعة في جميع القوانين ..

4- حماية الدولة

ومثل هذا حماية الدولة من اعتداء محتمل ومتوقع ، وذلك كأن يثبت للمسلمين ان دولة أو مجموعة من الدول والشعوب تعد العدة للعدوان عليهم ، ففي هذه الحالة لا يجوز للمسلمين ان يقفوا مكتوفي الايدي حتى تتخطفهم ايدي المعتدين ، بل يجب عليهم ان يقضوا على العدوان في محله ، وما غزي قوم في عقر دارهم إلا ذلوا ، وهذا ما تفعله اية امة اخرى تترقب اعتداء عليها .[2]

---

[4]) السلام في الاسلام حسن البنا ص 33

[1]) الدعوة الى الاسلام محمد ابو زهرة ص 66

[2]) معالم الثقافة الاسلامية عبد الكريم عثمان ص 224 الرسالة ط16/1413هـ 1992م

5- حماية الاقليات المسلمة

ومن الاهداف حماية الاقليات المسلمة التي تعيش خارج حدود دار الاسلام اذ لا تقتصر غاية الجهاد على الدفاع عن المسلمين في حال العدوان على الدولة الاسلامية ، بل يشمل ايضا حماية المسلمين اذا تعرضوا لاضطهاد وظلم في بلاد وديار غير اسلامية فيجب حينئذ ان يسعى المسلمون لنجدة المستضعفين والدفاع عنهم ، ويحرم تركهم ليعيشوا الوان الظلم والضيم والذل .

" فالدولة الاسلامية تسمح لغير المسلمين من رعاياها ان يمارسوا عباداتهم ويحتفظوا بعقائدهم ، و لم يعلم عن المسلمين انهم منعوا غيرهم من اصحاب الديانات الاخرى من اداء هذا كله ، لان المجتمع الاسلامي يقوم على حرية الاعتقاد والتدين ، ومادام الامر كذلك فان على الدول الاخرى ان تعامل المسلمين بالمثل ، فلا تقف امام حريتهم في الاعتقاد والتدين والدعوة الى الله ، فإذا حصل ان فعلت ذلك بعض الحكومات فإنها تكون قد نقضت العهود الدولية المتعارف عليها ، ويجب على المسلمين ان يدفعوا الاعتداء الواقع على العقيد ة ولو ادى ذلك الى استعمال السلاح " [1]

وإذا نظرنا الى هذه الاهداف مجتمعة ، وجدناها اهدافا انسانية صرفة ، وبعيدة كل البعد عن فكرة الدموية والإرهاب التي تعمد القتل لأجل القتل ، وهي اهداف تقرها جميع الاعراف والمواثيق الدولية..

---

[1]) المرجع السابق ص 224

وسائل الجهاد

تعتبر الرحمة من الفضائل الانسانية العظيمة ، وكان رسول الله ﷺ رحيما بالعباد ، العدو منهم والصديق ، ليس بدافع الشفقة او الرأفة الشخصية ، ولا انفعالا آنيا تطويه المشاعر البشرية ، بل كانت رحمته بالفطرة الصادقة ، وبالتربية الربانية التي تلقاها من الله سبحانه وتعالى .

امتلأت نفسه بالرحمة الصدوقة ، وأوصى اتباعه وصحابته ان يكونوا رحماء ..

اما الحرب في الاسلام فقد شرعتها الرحمة ..

وأظلتها الرحمة ..

وأنهتها الرحمة ..

وإذا كان من الرحمة بجسم الانسان أن تقطع بعض الاجزاء ، حتى لا تفسد الجسم ، فإن من الرحمة بالناس أن تقطع عناصر الفساد ، لأنها تفسد الجماعة ، وان يرد الاعتداء بقطع عناصره لسلامة الناس ، وان يعيشوا آمنين ، وكلمة الحق تسري بينهم ، ولا محاجزات تحول دون النطق بها " [1]

وقدمنا سابقا أن الحكم على الجهاد بالحسن أو القبح بالإنسانية أو الإرهاب يحتاج إلى أمرين :

أولهما : معرفة غاية الجهاد ..

وثانيهما تحديد وسيلة الجهاد وآدابه ...

وقد انتهينا من بيان الغايات الانسانية الصرفة التي يصبو الاسلام الى تحقيقها من خلال هذا الامر .

اما عن الوسائل فإنها لا تقل انسانية ولا رحمة عن الغايات والمقاصد ، حيث جمع الجهاد بين شرف المقاصد ، ونقاء الوسائل ، و " لذلك لم ينجل الفتح الاسلامي عن غالبين ومغلوبين كما هو الحال في كل فتح ، وإنما انجلى عن امة واحدة لها رب واحد ونبي واحد وقرآن واحد ، وسنة واحدة .

---

[1]) خاتم النبيين ، محمد ابو زهرة 695/2 وانظر في ظلال السيرة النبوية ، علاء الدين آل رشي ، خلود معطي ، دار الفكر ط1422/1هـ 2001م

ولذلك استقر الفتح الاسلامي وخلد ، وبقيت البلاد المفتوحة للإسلام فكان هذا الفتح فتحا (مستداما) لأنه كان فتح خير وبركة وهداية .

لقد سجل التاريخ قبل الفتح الاسلامي حروبا كثيرة : للآشوريين والبابليين والفراعنة واليونان والرومان والفرس وأهل قرطاجنة وغيرهم ..

وسجل التاريخ بعد الفتح الاسلامي حروبا كثيرة : لجنكيز خان وهولاكو وتيمورلنك ، وللصليبين وحروب الاستعمار الحديث والشرقي والغربي وحروب هتلر وموسيليني والميكادو وغيرهم ..

سجل التاريخ قبل الفتح الاسلامي وبعده حروبا عاصفة عاتية ، تهب على الكو ن مخربة مدمرة ، ثم تضعف العاصفة وتضمحل فلا تدع وراءها غير الخراب والدمار .. ذلك لان الحروب لم تدر رحاها إلا ابتغاء ارض يضمها الغازي الى ارضه ، او شعب يحكمه مع شعبه ، او غنائم ينالها ، او ثأر يطلبه ، او خيرات يستولي عليها او كتر يملكه ..

لذلك بقي الفتح الاسلامي خالدا مستداما وعفت الايام على حروب الاخرين ..

إن الحروب الإسلامية (فتحٌ) لأنها حروب لحماية حرية نشر الدعوة ، ولإقرار أركان السلام ، فهي حروب خير وبركة وتحرر وانطلاق .

اما الحروب الاخرى فهي (استعمار) لأنها حروب لحماية اطماع شخصية تثيرها العصبية العنصرية او العصبية الدينية أو المطامع والمنافع أو حب الأمجاد والمغانم والأسلاب ، فهي حروب خراب ودمار واستعباد وتحكم وشتان بين الفتح والاستعمار ..[1]

لقد نهج الإسلام في حروبه طريقا لم يكن معهودا من قبل في امة من الأمم ، ولا في شريعة من الشرائع السابقة ، ومن السهل ان نتبين من الآيات الكريمة التي تعرضت لشأن القتال ومن أفعال النبي صلوات الله عليه وسلم ووصاياه ، ووصايا خلفائه من بعده " أن الإسلام هذب أمور الحرب ورفع مستوى الإنسانية ، وبث الرحمة والعدل في قلوب متبعيه ، وأوضح لهم نظاما لم تصل إليه تلكم الأمم التي تدعي لنفسها أنها وصلت إلى مستوى رفيع من الحضارة والمدنية .

---

[1]) الفاروق القائد اللواء الركن محمود شيت خطاب ط1391/4هـ 1971م

آداب الجهاد في الاسلام

وآداب الحرب في الإسلام كثيرة ولكن نذكر الآداب المتعلقة بالعدو وكيفية التعامل معهم :

1) عدم تمني لقاء العدو :

فان المرء لا يدري لعله يبتلى بهذا العدو ولعله لا يثبت عند اللقاء ولهذا فقد نهى الرسول الكريم ﷺ عن تمني لقاء العدو فقال " لا تتمنوا لقاء العدو ، وسلوا الله العافية ، فإذا لقيتموهم فاصبروا " [1]

2) تبليغ الدعوة باللسان يسبق الجهاد بالسيف ..

الفتح الإسلامي نسيج وحده في تاريخ البشر لا يشبهه فتح ولا يدانيه ولا يقاس به . كانت غايتهم إصلاح البشر في أخلاقهم وأرواحهم ، وعقولهم ، وسعادة الناس في دنياهم وأخرهم ، فإذا قبلوا الهداية كفوا عنهم ، وإن لم يقبلوا فرضوا عليهم الجزية ، وإن أبو قاتلوهم .

قال ﷺ " ... وإذا لقيت عدوك من المشركين فادعهم إلى ثلاث خصال فأيتهن ما أجابوك فاقبل منهم وكف عنهم : ادعهم إلى الإسلام ، فإن أجابوك فاقبل منهم ، وكف عنهم ، فإن هم أبوا فسلهم الجزية ، فإن هم أجابوك فاقبل منهم وكف عنهم ، فإن أبوا فاستعن بالله وقاتلهم ... " [2]

كانت بعوث النبي ﷺ وسراياه هدفها الدعوة إلى الله ، فقد بعث عليه السلام مصعبا بن عمير رضي الله عنه إلى المدينة ، وبعث عليه السلام أبا إمامة رضي الله عنه إلى قومه بأهلة ، وبعث عليه الصلاة والسلام رجلا إلى بني سعد ، وبعث خالد بن سعيد رضي الله عنه إلى اليمن ، وبعث عمرو بن مرة الجهني رضي الله عنه إلى قومه ... وغيرهم ..

وبعث عليه السلام عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه إلى دومة الجندل ..

---

[1]) البخاري (2965) مسلم (1741)

[2]) مسلم (1730)

وبعث عليه الصلاة والسلام عمرو بن العاص رضي الله عنه إلى بليّ ..

وبعث خالد بن الوليد رضي الله عنه إلى اليمن ، وأيضا بعثه عليه الصلاة والسلام إلى نجران .

وأرسل الكتب والرسائل إلى ملوك الآفاق يدعوهم إلى الله عز وجل والى الدخول في الإسلام

فبعث عبد الله بن حذافة رضي الله عنه إلى كسرى ملك الفرس ..

وبعث سليط بن عمرو رضي الله عنه إلى هوذة بن علي صاحب اليمامة ..

وبعث العلاء الحضرمي رضي الله عنه إلى المنذر بن ساوى صاحب هجر في البحرين ..

وبعث عمرو بن العاص رضي الله عنه إلى جيفر وعباد ابني الجلندي ملكي عُمان ..

وبعث دحية الكلبي رضي الله عنه إلى قيصر ملك الروم ..

وبعث شجاع بن وهب الأسدي رضي الله عنه إلى المنذر بن الحارث بن أبي شمر..

وبعث عمرو بن امية الضمري رضي الله عنه إلى النجاشي ..

وبعث المهاجر بن أبي أمية رضي الله عنه إلى الحارث بن عبد كلال ..

وبعث جريرا رضي الله عنه إلى ذي الكلاع ..

وبعث السائب رضي الله عنه إلى مسيلمة ..

وبعث حاطب بن أبي بلتعة رضي الله عنه إلى المقوقس في مصر ..[1]

" والذي يقرأ كتب الرسول إلى الملوك والرؤساء يجدها صيغت بمنتهى الحكمة والمعرفة ، فالرسول فيها سمح يدعو ولا يهدد ولا يقلل من مكانة الملوك والرؤساء بل يكتب لهم بألقابهم ، ويعترف بمكانتهم ، ويقرر ان سلطانهم في ظل الإسلام باق لهم ، وهو بذلك يؤكد انه ليس طالب ملك ، ثم هو يذكر ان هناك زكاة في أموال الأغنياء ، ولكنه يؤكد أن الزكوات والصدقات لا تحل لمحمد ولا لآل محمد ، وإنما تؤخذ من أغنياء المسلمين وترد على فقرائهم ، وهو بهذا يؤكد أنه ليس طالب مال ، وهو عليه الصلاة والسلام يخاطب كل ملك حسب ظروفه ، فإن كان من أهل الكتاب أشار إلى ما بين الأديان السماوية من روابط ، وإن كان من غيرهم أشار إلى التزام البشرية بالعودة إلى الله وترك عبادة ما سواه .[2]

عن ابن عباس رضي الله عنه : ما قاتل رسول الله ﷺ قوما حتى دعاهم .[3]

---

[1]) انظر السيرة النبوية لابن هشام ، البدايةوالنهاية لابن كثير .

[2]) موسوعة التاريخ الاسلامي المجلد الاول السيرة النبوية العطرة د. احمد شلبي ط1988/13م مكتبة النهضة المصرية ص523

[3]) احمد (354/3) وقال احمد شاكر اسناده صحيح ، وصححه الالباني في السلسلة 294/6

وعن عبد الرحمن بن عائذ رضي الله عنه قال : كان رسول الله ﷺ إذا بعث بعثا قال : " تألفوا الناس وتأنوهم ـــ أو كلمة نحوها ـــ لا تغيروا عليهم حتى تدعوهم ، فإنه ليس من أهل الأرض من مدر ولا وبر تأتوني بهم مسلمين إلا أحب إليّ من أن تاتوني بنسائهم وأبنائهم وتقتلون رجالهم " (١)

وما أرسل الخلفاء من بعده كتابا أو.. بعثا ولا جهزوا جيشا إلا لنشر دين الله في الأرض ، فقد بعث أبو بكر الصديق هشام بن العاص إلى هرقل ملك الروم.. وكتب زياد بن الحارث الصدائي إلى قومه ، وكتب بجير بن زهير بن أبي سلمى رضي الله عنه إلى أخيه كعب ..

وكتب خالد بن الوليد إلى أهل فارس ..

وكتب ايضا رضي الله عنه إلى أهل المدائن ..

وكتب كذلك رضي الله عنه إلى هرمز .. وغيرهم

عن أبي البختري عن سلمان أنه انتهى إلى حصن أو مدينة فقال لأصحابه : دعوني ادعوهم كما رأيت رسول الله ﷺ يدعوهم فقال : إنما كنت رجلا منكم فهداني الله للإسلام فان أسلمتم فلكم مالنا وعليكم وعلينا ، وان أنتم أبيتم فأدوا الجزية وأنتم صاغرون ، فإن أبيتم نابذناكم على سواء { إِنّ اللّهَ لا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ } يفعل ذلك بهم ثلاثة أيام فلما كان اليوم الرابع غدا الناس إليها ففتحوها . (٢)

قال صاحب الأحكام السلطانية : ومن لم تبلغهم دعوة الإسلام يحرم علينا الإقدام على قتالهم غرة وبياتا بالقتل والتحريق ، ويحرم أن نبدأهم بالقتال قبل إظهار دعوة الإسلام لهم ،وإعلامهم من معجزات النبوة ومن ساطع الحجة بما يقودهم إلى الإجابة .

ثم يقول بعد ذلك : فإن بدأ بقتالهم قبل دعائهم إلى الإسلام وإنذارهم بالحجة وقتلهم غرة وبياتا ضمن ديات نفوسهم ، وكانت على الأصح من مذهب الشافعي كديات المسلمين ،

---

١)المطالب العالية" وعزاه ابن حجر لمسدد (166/2). وذكره البوصيري في "إتحاف الخيرة" (332/6) مرسلاً من مسند مسدد والحارث ، وهو موجود في اسد الغابة (3339) ، الاصابة (6710) معرفةالصحابة ابو نعيم الاصبهاني رقم (4682)

٢) احمد (440/5) الترمذي (1548) وقال : حديث حسن ، ولا نعرفه إلا من حديث عطاء بن السائب ، وقال الالباني في ارواء الغليل 87/5 : وعطاء بن السائب ثقة ، لكنه كان اختلط .

وقيل بل كديات الكفار على اختلافها واختلاف معتقدهم ، وقال أبو حنيفة : لا دية على قتلهم ، ونفوسهم هدر .[1]

ولما نزل رستم مع جيشه في القادسية بعث إلى سعد بن أبي وقاص " أ ن يبعث إليه برجل عاقل عالم بما يسأله عنه ، فبعث إليه المغيرة بن شعبة رضي الله عنه ، فلما قدم عليه جعل رستم يقول له : إنكم جيراننا وكنا نحسن إليكم ونكف الأذى عنكم فارجعوا إلى بلادكم ولا نمنع تجارتكم من الدخول إلى بلادنا .

فقال له المغيرة : **ليس طلبنا الدنيا وإنما همنا وطلبنا الآخرة** وقد بعث الله إلينا رسولا قال له إني قد سلطت هذه الطائفة على من لم يدن بديني فانا منتقم بهم منهم واجعل لهم الغلبة ما داموا مقرين به وهو دين الحق لا يرغب عنه احد إلا ذل ولا يعتصم به إلا عز .

فقال له رستم : فما هو ؟

فقال : **أما عموده الذي لا يصلح شيء منه إلا به فشهادة أن لا اله إلا الله وان محمدا رسول الله والإقرار بما جاء من عند الله .**

فقال : ما أحسن هذا !!وأي شيء أيضا ؟

قال : **وإخراج العباد من عبادة العباد إلى عبادة الله .**

قال : وحسن أيضا ، وأي شيء أيضا ؟

قال **والناس بنو آدم فهم أخوة لأب وأم .**

وقال : حسن أيضا ثم قال رستم : أرأيت إن دخلنا في دينكم أترجعون عن بلادنا .

قال : **أي والله ثم لا نقرب بلادكم إلا في تجارة أو حاجة**

قال : وحسن أيضا .

ولما خرج المغيرة من عنده ذاكر رستم رؤساء قومه في الإسلام فانفوا ذلك وأبوا أن يدخلوا فيه قبحهم الله واخزاهم وقد فعل ..

قالوا ثم بعث إليه سعد رسولا آخر بطلبه وهو ربعي بن عامر فدخل عليه وقد زينوا مجلسه بالنمارق المذهبة والزرابي الحرير واظهر اليواقيت واللآلىء الثمينة والزينة العظيمة وعليه تاجه

---

١) الاحكام السلطانية الماوردي ص 84 دارالكتاب العربي ط1420/3هـ -1999 فتأمل يا رعاك الله الى أي حد وصلت الرحمة والسماحة والانسانية في هذا الامر ...

وغير ذلك من الأمتعة الثمينة وقد جلس على سرير من ذهب ودخل ربعي بثياب صفيقة وسيف وترس وفرس قصيرة و لم يزل راكبها حتى داس بها على طرف البساط ثم نزل وربطها ببعض تلك الوسائد واقبل وعليه سلاحه ودرعه وبيضته على رأسه ، فقالوا له : ضع سلاحك .

فقال : إني لم آتكم وإنما جئتكم حين دعوتموني فان تركتموني هكذا وإلا رجعت .

فقال رستم : ائذنوا له ، فاقبل يتوكأ على رمحه فوق النمارق فخرق عامتها ،

فقالوا له : ما جاء بكم ؟

فقال : **الله ابتعثنا لنخرج من شاء من عبادة العباد إلى عبادة الله ومن ضيق الدنيا إلى سعتها ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام فأرسلنا بدينه إلى خلقه لتدعوهم إليه فمن قبل ذلك قبلنا منه ورجعنا عنه ومن أبى قاتلناه حتى نفضي إلى موعود الله .**

قالوا : وما موعود الله ؟

قال : الجنة لمن مات على قتال من أبى والظفر لمن بقي .

فقال رستم : قد سمعت مقالتكم فهل لكم ان تؤخروا هذا الأمر حتى ننظر فيه وتنظروا .

قال : نعم كم أحب إليكم يوما أو يومين .

قال : لا بل حتى نكاتب أهل رأينا رؤساء قومنا .

فقال : ما سن لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان نؤخر الأعداء عند اللقاء أكثر من ثلاث **فانظر في أمرك وأمرهم واختر واحدة من ثلاث بعد الأجل .**

فقال : أسيدهم أنت .

قال : **لا ولكن المسلمون كالجسد الواحد يجير أدناهم على أعلاهم .**

فاجتمع رستم برؤساء قومه ، فقال : هل رأيتم قط أعز وأرجح من كلام هذا الرجل . فقالوا : معاذ الله أن تميل إلى شيء من هذا تدع دينك إلى هذا الكلب أما ترى إلى ثيابه ، فقال : ويلكم لا تنظرون إلى الثياب وانظروا إلى الرأي والكلام والسيرة ان العرب يستخفون بالثياب والمأكل ويصونون الأحساب ..

ثم بعثوا يطلبون في اليوم الثاني رجلا فبعث إليهم حذيفة بن محصن فتكلم نحو ما قال ربعي ..

وفي اليوم الثالث المغيرة بن شعبة فتكلم بكلام حسن طويل ، قال فيه رستم للمغيرة : إنما مثلكم في دخولكم أرضنا كمثل الذباب رأى العسل ، فقال : من يوصلني إليه وله درهمان ، فلما سقط عليه غرق فيه فجعل يطلب الخلاص فلا يجده وجعل يقول من يخلصني وله أربعة دراهم ، ومثلكم كمثل الثعلب ضعيف دخل جحرا في كرم فلما رآه صاحب الكرم ضعيفا رحمه ، فتركه فلما سمن افسد شيئا كثيرا ، فجاء بجيشه واستعان عليه بغلمانه فذهب ليخرج فلم يستطع لسمنه فضربه حتى قتله ، فهكذا تخرجون من بلادنا ثم استشاط غضبا ، واقسم بالشمس لأقتلنكم .

فقال المغيرة : ستعلم .

ثم قال رستم للمغيرة : قد أمرت لكم بكسوة ولأميركم بألف دينار وكسوة ومركوب وتنصرفون عنا .

فقال المغيرة: أبعد أن أوهنا ملككم وضعفنا عزكم ولنا مدة نحو بلادكم ونأخذ الجزية منكم عن يد وانتم صاغرون . [1]

ولم يكن الصحابة رضي الله عنهم يكتفون بدعوة غير المسلمين قبل المعركة بل كانوا يواصلون دعوتهم في أثنائها ومن بعدها .

ومن دعوتهم أثناء المعركة ما حدث في معركة اليرموك إذ خرج احد الأمراء الكبار ويدعى جرجة واستدعى خالد بن الوليد فجاء إليه حتى اختلفت أعناق فرسيهما فقال جرجة : يا خالد أخبرني فاصدقني ولا تكذبني فان الحر لا يكذب ولا تخادعني فان الكريم لا يخادع المسترسل بالله هل انزل الله على نبيكم سيفا من السماء فاعطاكه فلا تسله على احد إلا هزمتهم . قال : لا .

قال : فبم سميت سيف الله .

قال : إن الله بعث فينا نبيه فدعانا فنفرنا ومنه ونأينا عنه جميعا ثم ان بعضنا صدقه وتابعه وبعضنا كذبه وباعده فكنت فيمن كذبه وباعده ثم ان الله اخذ بقلوبنا ونواصينا فهدانا به وبايعناه فقال لي : أنت سيف من سيوف الله سله على المشركين ودعا لي بالنصر فسميت سيف الله بذلك فانا من اشد المسلمين على المشركين .

---

[1]) البداية والنهاية 39/7مكتبة المعارف بيروت بدون تاريخ

فقال جرجه : يا خالد إلى ما تدعون ؟

قال : إلى شهادة أن لا اله إلا الله وان محمدا عبده ورسوله والإقرار بما جاء به من عند الله عز وجل .

قال : فمن لم يجبكم .

قال : فالجزية ونمنعهم .

قال : فان لم يعطها .

قال : نؤذنه بالحرب ثم نقاتله .

قال : فما منزلة من يجيبكم ويدخل في هذا الأمر اليوم .

قال : منزلتنا واحدة فيما افترض الله علينا شريفنا ووضيعنا وأولنا وأخرنا .

قال جرجه : فلمن دخل فيكم اليوم من الأجر مثل ما لكم من الأجر والذخر .

قال : نعم وأفضل .

قال : وكيف يساويكم وقد سبقتموه .

فقال خالد : إنا قبلنا هذا الأمر عنوة وبايعنا نبينا وهو حي بين أظهرنا تأتيه أخبار السماء ويخبرنا بالكتاب ويرينا الآيات وحق لمن رأى ما رأينا وسمع ما سمعنا أن يسلم ويبايع وأنكم أنتم لم تروا ما رأينا ولم تسمعوا ما سمعنا من العجائب والحجج فمن دخل في هذا الأمر منكم بحقيقة ونية كان أفضل منا .

فقال جرجه : بالله لقد صدقتني ولم تخادعني .

قال : تالله لقد صدقتك وان الله ولي ما سالت عنه .

فعند ذلك قلب جرجه الترس ومال مع خالد ، وقال : علمني الإسلام.

فمال به خالد إلى فسطاطه فسن عليه قربة من ماء ثم صلى به ركعتين وحملت الروم مع انقلابه إلى خالد وهم يرون أنها منه حملة فأزالوا المسلمين عن مواقفهم إلا المحامية عليهم عكرمة بن أبي جهل والحرث بن هشام فركب خالد وجرجه معه والروم خلال المسلمين فتنادى الناس وثابوا وتراجعت الروم إلى مواقفهم وزحف خالد بالمسلمين حتى تصافحوا بالسيوف فضرب فيهم خالد وجرجه من لدن ارتفاع النهار إلى جنوح الشمس للغروب

وصلى المسلمون صلاة الظهر وصلاة العصر إيماء وأصيب جرحه رحمه الله و لم يصل لله إلا تلك الركعتين مع خالد رضي الله عنهما. [1]

وهكذا فإن احتدام القتال بين المسلمين والمشركين لم يكن يمنع من إقامة الحجة أثناء الحرب ، وتبيين الحقائق وتوضيح الشبهات ..

3) عدم التمثيل بالقتلى :

فقد نهى الحبيب ﷺ عن المثلة " [2] والمقصود بالمثلة : التمثيل بجثث القتلى وذلك بجدع الأنوف ، أو الآذان أو بقر البطون أو قطع الأطراف ونحو ذلك .

4) عدم قتل الأطفال والنساء .

قال ابن تيمية : وإذا كان أصل القتال المشروع هو الجهاد ، ومقصوده هو ان يكون الدين كله لله ، وان تكون كلمة الله هي العليا ، فمن منع هذا قوتل باتفاق المسلمين ، وإما من لم يكن من أهل الممانعة والمقاتلة كالنساء والصبيان والراهب والشيخ الكبير والأعمى والزمن ونحوهم فلا يقتل عند جمهور العلماء ، إلا أن يقاتل بقوله أو فعله " [3]

وكان ﷺ يوصي قادته وأصحابه عند الغزو أو السرية بتقوى الله في أنفسهم وفي في غيرهم فيقول : اغزوا باسم الله في سبيل الله . قاتلوا من كفر بالله . اغزوا ولا تغلوا ولا تغدروا ولا تمثلوا ولا تقتلوا وليدا . " [4]

5) الإحسان إلى الأسرى

وهذا هو هدي الحبيب المصطفى ﷺ وأصحابه .إذ عامل الأسرى معاملة حسنة رحيمة ، ولقد مدح القرآن الذين يبرونهم ، وأثنى عليهم الثناء الجميل { وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا * إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلا شُكُورًا } (الإنسان : 8-

---

[1]) المرجع السابق 12/7

[2]) صحيح الجامع للالباني 6899

[3]) السياسة الشرعية ابن تيمية ص 132 مكتبة دار البيان ط2/1413هـ 1993م تحقيق بشير عيون .

[4]) مسلم 1731

9) ولقد وقع ثمامة بن آثال أسيرا في أيدي المسلمين فجاؤوا به إلى الرسول الكريم ﷺ فقال : " أحسنوا إساره " وقال " اجمعوا ما عندكم من طعام فابعثوا به إليه " فكانوا يقدمون إليه لبن لقحة الرسول ﷺ غدوا ورواحا ، ودعاه ﷺ إلى الإسلام فأبى ، وقال له : إن أردت الفداء فاسأل ما شئت من المال ، فمنّ عليه الرسول عليه الصلاة والسلام وأطلق سراحه بدون فداء ، فكان ذلك من أسباب دخوله في الإسلام . [1]

وكان للصحابة رضي الله عنهم اهتمام كبير بدعوة الأسرى إلى الإسلام ، وكانوا يعلمونهم الدين ويكرمونهم بالبر والإحسان وعوامل الهدية ، فكان من أولئك الأسرى من أسلم وأضحى بعد ذلك عالما فقيها يُرجع إليه ومما يؤكد ذلك " ان أكثر علماء العصر الأول من الموالي الذين دعوا إلى الإسلام فأجابوا ، يستوي في ذلك من جرى عليه الأسرى والرق ومن لم يجر عليهم ، فالجميع قد سموا بالموالي ، فكان منهم العلماء والهداة والمرشدون " [2]

وعندما كان الأسير يسلم ويدخل في دين الله كان المسلمون يكبرون له تكبيرة أشد من تكبيرة الفتح وما ذلك إلا أن دخول إنسان واحد في الإسلام أغلى عندهم وأعظم من فتحهم بلدة عنوة . ولنتأمل هذه القصة :

قال زياد بن جزء الزبيدي : افتتحنا الإسكندرية في خلافة عمر بن الخطاب في سنة إحدى وعشرين أو سنة اثنتين وعشرين ... ثم قال ... فلما انتهينا إلى بلهيب أرسل صاحب الإسكندرية إلى

عمرو بن العاص : إني قد كنت أخرج الجزية إلى من هو أبغض إلي منكم معشر العرب لفارس والروم فإن أحببت أن أعطيك الجزية على أن ترد علي ما أصبتم من سبايا فعلت .

قال فبعث إليه عمرو بن العاص : إن ورائي أميرا لا أستطيع أن أصنع أمرا دونه فإن شئت أن أمسك عنك وتمسك عني حتى أكتب إليه بالذي عرضت علي فإن هو قبل ذلك منك قبلت وإن أمرني بغير ذلك مضيت لأمره . فقال : نعم .

قال فكتب عمرو بن العاص إلى عمر بن الخطاب ، قال : وكانوا لا يخفون علينا كتابا كتبوا به يذكر له الذي عرض عليه صاحب الإسكندرية ، قال : وفي أيدينا بقايا من سبيهم ثم

---

[1]) انظر اسد الغابة ت (619) الاصابة ت (963) السيرة النبوية ابن هشام تحقيق السقا .

[2]) الدعوة الى الاسلام محمد ابو زهرة ص 75

وقفنا ببلهيب وأقمنا ننتظر كتاب عمر حتى جاءنا فقرأه علينا عمرو وفيه : أما بعد فإنه **جاءني كتابك تذكر أن صاحب الإسكندرية عرض أن يعطيك الجزية على أن ترد عليه ما أصيب من سبايا أرضه ، ولعمري لجزية قائمة تكون لنا ولمن بعدنا من المسلمين أحب إلي من فيء يقسم** ، ثم كأنه لم يكن فاعرض على صاحب الإسكندرية أن يعطيك الجزية **على أن تخيروا من في أيديكم من سبيهم بين الإسلام وبين دين قومه ، فمن اختار منهم الإسلام فهو من المسلمين له ما لهم وعليه ما عليهم ، ومن اختار دين قومه وضع عليه من الجزية ما يوضع على أهل دينه** ، فأما من تفرق من سبيهم بأرض العرب فبلغ مكة والمدينة واليمن ، فإنا لا نقدر على ردهم ، ولا نحب أن نصالحه على أمر لا نفي له به ، قال : فبعث عمرو إلى صاحب الإسكندرية يعلمه الذي كتب به أمير المؤمنين ، فقال : قد فعلت .

قال : فجمعنا ما في أيدينا من السبايا واجتمعت النصارى ، فجعلنا نأتي بالرجل ممن في أيدينا ثم نخيره بين الإسلام وبين النصرانية ،

فإذا اختار الإسلام كبرنا تكبيرة هي أشد من تكبيرنا حين تفتح القرية قال : ثم نحوزه إلينا .

وإذا اختار النصرانية : نخرت النصارى ثم حازوه إليهم ، **ووضعنا عليه الجزية ، وجزعنا من ذلك جزعا شديدا حتى كأنه رجل خرج منا إليهم .**

قال فكان ذلك الدأب حتى فرغنا منهم وقد أتي فيمن أتينا به بأبي مريم عبد الله بن عبد الرحمن ـــ قال القاسم وقد أدركته وهو عريف بني زبيد ـــ قال فوقفناه فعرضنا عليه الإسلام والنصرانية ـــ وأبوه وأمه وإخوته في النصارى ـــ فاختار الإسلام ، فحزناه إلينا ووثب عليه أبوه وأمه وإخوته يجاذبوننا ، حتى شققوا عليه ثيابه ، ثم هو اليوم عريفنا كما ترى .. [1]

6) عدم الفساد والتخريب :

عن يحيى بن سعيد : أن أبا بكر وصى يزيد بن أبي سفيان حين بعثه على رأس جيش إلى الشام بوصية جاء فيها " إني موصيك بعشر لا تقتلن امرأة ولا صبيا ولا كبيرا هرما ، ولا تقطعن شجرا مثمرا ، ولا تخربن عامرا ، ولا تعقرن شاة ولا بعيرا إلا لمأكلة ، ولا تحرقن نخلا

[1]) تاريخ الامم والملوك محمد بن جرير الطبري 2/512-513 دار الكتب العلمية بيروت ط1407/1هـ

، ولا تغرقنة ، ولا تغلل ، ولا تجبن ، وإنك ستجد قوما زعموا أنهم حبسوا أنفسهم لله فذرهم وما زعموا أنهم حبسوا أنفسهم له " [1]

" إذا حاربوا حافظوا على شرفهم : لا يغدرون ولا يمثلون ولا يجهزون على جريح ، ولا يقتلون أو يقاتلون امرأة ولا يعرضون لعاجز ، ولا يمسون معبدا ولا يؤذون متعبدا ، ولا يخربون دارا ، ولا يفسدون ماء ..

لا يلهيهم عن غايتهم مال ، ولا يشغله م جاه ، ولا ينسيه م هذه الغاية خطر .. يعملون لله وحده ، لا لجاه ولا لذكر ولا لمال .

لا يترفعون بشيء على المغلوبين ، فكل من دخل في دينهم له ما لهم وعليه ما عليهم [2]...

7) عدم الغلول :

والغلول هو ما اخذ من الغنائم قبل ان يقسمها القائد أو الأمير ، ونهي القائد العظيم عن الغلول " لما فيه منكسر قلوب المسلمين واختلاف كلمتهم واختيارهم النهبى (أي الغنيمة) على القتال ، وكثيرا ما يفضي ذلك إلى الهزيمة ." [3]

8) عدم النهبى :

وهي اخذ الطعام الموجود في بلاد العدو عند النصر ، والاستفادة منه دون قسمة قال ﷺ " ان النهبة ليست بأحل من الميتة " [4]

9) عدم اخفار ذمة المجير ولو كان امرأة :

فإذا أجار مسلم كافرا وأمنه لم يجز لأحد قتله ولما أجارت أم هانئ رجلا مشركا قال لها النبي ﷺ " قد أجرنا من أجرت يا أم هانئ " [5]

---

[1]) مالك في الموطأ 249/1

[2]) الفاروق القائد اللواء الركن محمود شيت خطاب ط4/1391هـ 1971م

[3]) حجة الله البالغة احمد المعروف بشاه ولي الله بن عبد الرحيم الدهلوي 305/2ط1418/1هـ 1997م دار المعرفة

[4]) ابو داود (2705) وصححه الالباني ، وذكره ابن حجر في فتح الباري 541/9 وقال اسناده جيد ورجاله على شرط مسلم .

[5]) البخاري (6158) مسلم (336) وزاد ابو داود "وامنا من امنت " (2763)

10) الوفاء بالعهد :

فإذا اصطلح المسلمون مع عدوهم على شيء وتعاهدوا عليه لم يجز لهمان يغدروا قال تعالى { إِنّ اللّهَ لا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ } (الأنفال : 58) وقال ﷺ " من كان بينه وبين قوم عهد فلا يحلن عهدا ، ولا يشدنهم حتى يمضي أمده أو ينبذ إليهم على سواء " [1]

11) عدم التفريق بين الأم وولدها من السبي :

فإذا سبي المسلمون من المشركين فلا يصح لهم ولا يجوز أن يفرقوا بين الأم وولدها فان هذا يفجعها فقد نهى ذو القلب الرحيم المصطفى الكريم عليا لما فرق بين جارية وولدها ورد البيع .[2] وكان ﷺ يمنع التفريق في السبي بين الوالدة وولدها ويقول : ﷺ " من فرق بين والدة وولدها فرق الله بينه وبين أحبته يوم القيامة " [3] وكان يؤتى بالسبي فيعطي أهل البيت جميعا كراهية أن يفرق بينهم " [4]

12) عدم الغدر :

كتب عمر إلى عامل جيش كان بعثه : انه بلغني ان رجلا منكم يطلب العلج حتى إذا اشتد في الجبل امتنع فقال الرجل : مترس ، يقول لا تخف . فإذا أدركه قتله ، واني ـــ والذي نفسي بيده ـــ لا يبلغني أن أحدا فعل ذلك إلا ضربت عنقه .[5]

وهكذا نجد " أن الحرب في الإسلام حرب إنسانية من دون شك ، والشواهد على ذلك ما جاء في القرآن الكريم وفي السنة النبوية وما طبقه الرسول القائد عليه أفضل الصلاة والسلام عمليا في الحرب .

---

[1]) الترمذي 1580) وصححه الالباني ، وذكره ابن القيم في زاد المعاد .

[2]) ابو داود (2696) وصححه الالباني .

[3]) احمد (5/ 413، 414 ، الترمذي (1566) الدارمي (224/2) من حديث ابي ايوب الانصاري ، وصححه الحاكم 55/2 ، ووافقه الذهبي .

[4]) زاد المعاد 103/3

[5]) حياة الصحابة محمد يوسف الكاندهلوي 103/2 مطبعة السعادة ، مصر 1968م

ولكن العبرة دائما في التطبيق العملي لا في النظريات والتعاليم المكتوبة ، وكثيرا ما يكون قانون ما مثاليا في أهدافه ومراميه ، ولكن الإساءة في تطبيقه تجعل من ذلك القانون حبرا على الورق ليس إلا .

فتعاليم الحرب في الإسلام تحتم : الوفاء بالعهود ، وتحريم الغدر والخيانة في الظاهر والخفاء ، واحترام الإنسانية ، وتكريم البشرية ، والدعوة إلى الإخاء الشامل ، واعتبار الفضيلة والتقوى أساس العلاقات الدولية في الحرب والسلم ، والرحمة في الحرب ، والعدالة المطلقة ، والمعاملة بالمثل ، وإفساح الطريق للدعوة الجديدة ومنع الفتنة في الدين وإقرار السلام .[1]

أمثلة :

ولتكون الصورة واقعية جدا وأقرب وأندى وليس مجرد نظريات وكلام نسوق بعض الأمثلة لتكون عبرة ودرسا ومنارا نسير على هداهم .

== في خلافة أبي بكر الصديق رضي الله عنه كتب خالد بن الوليد رضي الله عنه في عقد الذمة لأهل الحيرة بالعراق وكانوا من النصارى " وجعلت لهم أيما شيخ ضعف عن العمل أو أصابته آفة من الآفات أو كان غنيا فافتقر وصار أهل دينه يتصدقون عليه طرحت جزيته وعيل من بيت مال المسلمين هو وعياله " [2]

== استدعى عمر سعد بن أبي وقاص بعد تعيينه قائدا عاما في العراق وأوصاه بقوله : يا سعد سعد بني وهيب لا يغرنك من الله أن قيل خال رسول الله وصاحب رسول الله فإن الله عز وجل لا يمحو السيئ بالسيئ ولكنه يمحو السيئ بالحسن فإن الله ليس بينه وبين أحد نسب إلا طاعته فالناس شريفهم ووضيعهم في ذات النبي الله سواء الله ربهم وهم عباده يتفاضلون

---

[1]) الفاروق القائد محمود شيت خطاب دارالفكر ط1391/4هـ -1971م

[2]) الخراج ابو يوسف ص306

بالعافية ويدركون ما عنده بالطاعة فانظر الأمر الذي رأيت عليه منذ بعث إلى أن فارقنا فالزمه فإنه الأمر هذه عظتي إياك إن تركتها ورغبت عنها حبط عملك وكنت من الخاسرين. [1]
هكذا يوصي عمر سعدا بالالتزام بأوامر النبي ﷺ قبل إن يبعثه إلى ميدان القتال .

== حين علم سعد باجتماع الجيوش الفارسية كتب إلى عمر فكتب إليه عمر : لا يكربنك ما يأتيك عنهم ولا ما يأتونك به واستعن بالله وتوكل عليه وابعث إليه رجالا من أهل المنظرة والرأي والجلد يدعونه فإن الله جاعل دعاءهم توهينا لهم وفلجا عليهم" [2]
وهكذا لم يدخر عمر وسعا لتجنب الحرب : عرض تعاليم القتال في الإسلام وهي الإسلام أو الجزية أو القتال كحل أخير ... وأرسل المفاوضين لعرض رأي المسلمين في القتال ببساطة وصراحة ... والحرب في الإسلام كالكي الذي هو آخر الدواء ..

== بعث أبو سبرة بن أبي رهم بعد فتح (تستر) واسر (الهرمزان) وفدا إلى عمر فيهم انس بن مالك والأحنف بن قيس ومعهم الهرمزان ،فقدموا به المدينة المنورة ، والبسوه كسوته من الديباج الذي الذهب وتاجه ، وكان مكللا بالياقوت وحليته ليراه عمر والمسلمون ، فطلبوا عمر فلم يجدوه فسألوا عنه فقيل : جلس في المسجد لوفد من الكوفة فوجدوه في المسجد متوسداً برنسه وكان قد لبسه للوفد فلما قاموا عنه توسده ، ونام فجلسوا دونه ، وهو نائم والدرة في يده ، فقال الهرمزان : أين عمر؟ قالوا : هو ذا . فقال : أين حرسه وحُجابه ؟ قالوا : ليس له حارس ولا حاجب ، ولا كاتب . قال : فينبغي أن يكون نبياً. قالوا: بل يعمل بعمل الأنبياء. فاستيقظ عمر بجلبة الناس ، فاستوي جالساً ، ثم نظر إلى الهرمزان فقال : الهرمزان ؟
قالوا : نعم . فتأمله وتأمل ما عليه ، وقال : أعوذ بالله من النار وأستعين الله ، فقال : الحمد لله الذي أذل بالإسلام هذا وغيره أشباهه . فأمر بنزع ما عليه فنزعوه وألبسوه ثوباً صفيقاً ، فقال له عمر : هيه يا هرمزان كيف رأيت عاقبة الغدر وعاقبة أمر الله ؟ فقال : يا عمر إنّا

---

١) تاريخ الطبري (382/2)
٢) البداية والنهاية (38/7) تاريخ الطبري (389/2)

وإياكم في الجاهلية كان الله قد خلى بيننا وبينكم فغلبناكم ، إذ لم يكن معنا ولا معكم . فلما كان الآن معكم غلبتمونا. فقال عمر: إنما غلبتمونا في الجاهلية باجتماعكم وتفرقنا .

ثم قال له : ما حجتك وما عذرك في انتقاضك مرة بعد أخرى ؟ فقال : أخاف أنْ تقتلني قبل أن أخبرك . قال : لا تخف ذلك ، واستسقى ماءً فأتي به في قدح غليظ فقال : لو مِتُ عطشاً لم أستطع أن أشرب في مثل هذا فأتي به في إناء يرضاه ، فجعلت يده ترجف ، فقال : إني أخاف أن أقتل وأنا أشرب فقال عَمر : لا بأس عليك حق تشربه . فأكفأه فقال عمر : أعيدوا عليه ولا تجمعوا عليه بين القتل والعطش ، فقال : لا حاجة لي في الماء إنما أردتُ أنْ استأمن به فقال عمر له : إني قاتلك فقال : قد أمنتني . فقال : كذبت قال أنس : صَدَقَ يا أمير المؤمنين قد أمنته قال عمر : ويحك يا أنس أنا أؤمن قاتل مجزأة بن ثور والبراء بن مالك والله لتأتين بمخرج أو لأعاقبنك . قال : قلت له : لا بأس عليك حتى تخبرني ولا بأس عليك حتى تشربه وقال له من حوله مثل ذلك فأقبل على الهرمزان وقال : تخدعني ، والله لا تخرج عني إلا أن تسلم فاسلم ، ففرض له في ألفين وأنزله المدينة ، وكان المترجم بينهما المغيرة بن شعبة وكان يفقه بالفارسية إلى أن جاء المترجم . . وقال عمر للوفد : لعل المسلمين يؤذون أهل الذمة فلهذا ينتقضون بكم . قالوا : ما نعلم إلا وفاء. [1] .

هكذا يمضي عمر آمان منتقض ، نقض العهود مرات ، وكبد المسلمين خسائر فادحة بالأرواح ، والأموال بخدعة ماكرة ، وهو القادر على أخذ ثارات شهداء المسلمين منه بإشارة عابرة .

== كتب عمر إلى سعد " إني قد ألقي في روعي أنكم إذا لقيتم العدو وهزمتموهم فاطرحوا الشك وآثروا التقية عليه فإن لاعب أحد منكم أحدا من العجم بأمان أو قرفه بإشارة أو بلسان فكان لا يدري الأعجمي ما كلمه به وكان عندهم أمانا فأجروا ذلك له مجرى الأمان وإياكم والضحك والوفاء الوفاء فإن الخطأ بالوفاء بقية وإن الخطأ بالغدر الهلكة وفيها

---

١) الكامل في التاريخ 2/212-213 ، تاريخ الطبري 2/502.

وهنكم وقوة عدوكم وذهاب ريحكم وإقبال ريحهم واعلموا أني أحذركم أن تكونوا شينا على المسلمين وسببا لتوهينهم .[١]

== وحاصر جند المسلمون (جند يسابور) سنة سبع عشرة الهجرية فأقاموا عليها يقاتلون أهلها ، فرمى إلى المدافعين عنها من أهلها بالأمان من اتجاه عسكر المسلمين ، فلم يفجأ المسلمين إلاّ وقد فتحت أبوابها ، وأخرجوا أسواقهم ، وخرج أهلها فسألهم المسلمون فقالوا : رميتم بالأمان فقبلناه وأقررنا بالجزية ، على أنْ تمنعونا . فقال المسلمون : ما فعلنا ، فقالوا: ما كذبنا . وسأل المسلمون فإذا عبُد يدعى (ملئفا) كان أصله منها هو الذي فعل هذا ، فقالوا : هو عبد فقال أهلها : لا نعرف العبد من الحر ، وقد قبلنا الجزية وما يدلنا فإنْ شئتم فاغدروا . فكتبوا إلى عمر فأجاز أمانهم فأمنوهم وانصرفوا عنهم .[٢]

إنه أجاز أمان عبد ، تصرف من تلقاء تفسه بتحيز ظاهر لقومه أهل المدينة وبدون علم المسلمين قادة وجنودا ... ومع ذلك أجاز عمر أمانه ..

---

١) تاريخ الطبري 387/2

٢) بن الاثير 214/2 تاريخ الطبري 505/2

مميزات وخصائص الجهاد

لم يكن الإسلام في تشريعه إنسانيا رحيما يتوخى خير الإنسانية وإقامة السلام فحسب ، بل كان في واقعه التاريخي كذلك ، وهنا يبدو الفرق بينه وبين غيره من دعاة الإنسانية في السلم ، فقلد عهدنا شرائع دائما تعلن للناس أصدق آيات البر والخير والرحمة في تشريعها وفلسفتها وأدبها ، حتى إذا حكمت نسيت ذلك كله ، وانقلبت إلى أبشع صور الحقد والقسوة والاستهزاء بحقوق الشعوب ، والإمعان في سفك الدماء وإثارة الحروب .

دعوية :

يقول أعداء الإسلام أن الإسلام قد انتشر بالسيف ، وأن الجهاد كان لإكراه الآخرين على الإسلام ، وانتهاك حرمة حرية الاعتقاد !

" والمسألة على هذا الوضع لا تكون مستساغة . . لولا أن الأمر ليس كذلك على الإطلاق . . إن الإسلام يقوم على قاعدة: لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي . . ولكن لماذا ينطلق إذن بالسيف مجاهدا ؛ ولماذا اشترى الله من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون ؟ . . إنه لأمر آخر غير الإكراه على العقيدة كان هذا الجهاد . . بل لأمر مناقض تماما للإكراه على العقيدة . . إنه لضمان حرية الاعتقاد كان هذا الجهاد ! . . لأن الإسلام كإعلان عام لتحرير "الإنسان" في "الأرض" من العبودية للعباد ؛ يواجه دائما طواغيت في الأرض يخضعون العباد للعباد . ويواجه دائما أنظمة تقوم على أساس دينونة العبيد للعبيد ؛ تحرس هذه الأنظمة قوة الدولة أو قوة تنظيمية في صورة من الصور ؛ وتحول دون الناس في داخلها ودون سماع الدعوة الإسلامية ؛ كما تحول دونهم ودون اعتناق العقيدة إذا ارتضتها نفوسهم ، أو تفتنهم عنها بشتى الوسائل . . وفي هذا يتمثل انتهاك حرية الاعتقاد بأقبح أشكاله . . ومن هنا ينطلق الإسلام بالسيف ليحطم هذه الأنظمة ، ويدمر هذه القوى التي تحميها . . ثم ماذا ؟ . . ثم يترك الناس – بعد ذلك – أحرارا حقا في اختيار العقيدة التي يريدونها . إن شاءوا دخلوا في الإسلام ، فكان لهم ما للمسلمين من حقوق ، وعليهم ما عليهم من واجبات ، وكانوا إخوانا في الدين للسابقين في الإسلام ! وإن شاءوا بقوا على عقائدهم وأدوا الجزية ، إعلانا عن استسلامهم لانطلاق الدعوة الإسلامية بينهم بلا

مقاومة ؛ ومشاركة منهم في نفقات الدولة المسلمة التي تحميهم من اعتداء الذين لم يستسلموا بعد ، وتكفل العاجز منهم والضعيف والمريض كالمسلمين سواء بسواء .

إن الإسلام لم يكره فردا على تغيير عقيدته ؛ كما انطلقت الصليبية على مدار التاريخ تذبح وتقتل وتبيد شعوبا بأسرها – كشعب الأندلس قديما وشعب زنجبار حديثا – لتكرههم على التنصر . وأحيانا لا تقبل منهم حتى التنصر ، فتبيدهم لمجرد أنهم مسلمون . . وأحيانا لمجرد أنهم يدينون بمذهب نصراني مخالف لمذهب الكنيسة الرسمية . . وقد ذهب مثلا اثنا عشر ألفا من نصارى مصر ضحايا بصور بشعة إذ أحرقوا أحياء على نار المشاعل لمجرد مخالفتهم لجزئية اعتقادية عن كنيسة روما تتعلق بإنبثاق الروح القدس من الآب فقط ، أو من الآب والابن معا ! أو يتعلق بما إذا كان للمسيح طبيعة واحدة لاهوتية ، أو طبيعة لاهوتية ناسوتية . . . إلى آخر هذه الجزيئات الإعتقادية الجانبية ![1]

دفاعية :

وذلك لرد عدوان أو دفع أذى ، أو احتفاظ بسيادة الأمة ضد أعدائها المتألبين عليها

تحررية :

تتوخى تحرير الشعوب من طغاتها الظالمين ، ومن أوضاعها الدينية والاجتماعية السيئة ، فلقد قضت على تحكم الملوك في شؤون شعوبهم ، تحكما يزج بهم في كل حرب يريدها هؤلاء الملوك ، دون ان تكون للشعوب منفعة منها أو رأي في إيقادها .. وان قصة القبطي الذي ضرب ولد عمرو بن العاص ولده ، وشكواه ذلك إلى أمير المؤمنين له ، مثلا رائعا من تحرر الشعوب لا نعلم له مثيلا قبل الإسلام .. فهذا القبطي كان من أمة مغلوبة على أمرها قبل أن يفتح المسلمون مصر ، وكان الروم يذلون كرامتها ويستلبون أموالها ويلهبون بالسياط ظهور رجالها ونسائها ، ويتدخلون في حريتها الدينية ومذاهبها الكنسية ، و لم يكن يرتفع لأحد منها صوت بإنكار هذا الظلم أو التململ منه .

---

[1]) في ظلال القرآن 3/1738

فلما جاء الإسلام تفتح وعي الشعب المصري حتى اعتبر هذا القبطي ان ضرب ولد صغير ـــ وهو ولد الحاكم ـــ لولد صغير من أبناء المحكومين من غير ذنب جناه الولد المضروب ، ظلما لا ينبغي السكوت عنه ، فليهاجر من اجل شكواه ، شهرا كاملا على ظهور الإبل ، وليطلب من رئيس الدولة الأول عمر بن الخطاب ، ان يرفع هذا الظلم الذي جاءت الحروب الإسلامية للقاء عليه ولتحرير الشعوب منه ، وكان عمر عند ظن هذا الرجل ، فارتاع لشكايته ، واستقدم حاكم مصر وابنه ، وحاكمهما وقضى على ولد عمرو ان يضربه الولد القبطي على رأسه ضربا موجعا أمام الجمهور .. ثم لم يكتف بذلك بل أمر أن يوضع السوط على رأس عمرو وخاطبه بتلك الكلمات الخالدة " متى استعبدتم الناس وقد ولتهم أمهاتهم أحرارا "

ألا إن ضرب ولد صغير لآخر مثله ، يقع كل يوم وفي كل بلدة ، لا بين ولدي الحاكم والمحكوم فحسب بل بين أبناء الجيران ، بل بين الأخوة الأشقاء في بيت واحد ، ولا يخطر في بال احد ان هذا يجب ان يهتم له رئيس الدولة بنفسه ، وأن يعاقب الولد الضارب وأباه على ملأ من رجال الدولة وأعيانها .. ولكن ذلك وقع في الإسلام حيث يحرر الشعب من كل عبودية ظالمة .. ومن العبودية في نظر الإسلام أن يستطيل ولد الحاكم على أولاد الشعب فيضربهم معتزا بسطوة أبيه وحكمه : " أنا ابن الأكرمين "

إن ضرب ولد لولد آخر من غير حق ظلم في الإسلام واستعباد ! أي تحرير للشعوب ، وأي حفاظ على كرامتها وحقها في الحرية أكثر من هذا واكبر ؟

ان الحروب الإسلامية حين تبث في الشعوب روح التحرر من الظلم ـــ ولو كان ضربا من ولد صغير ـــ وحين تجبر الحاكم على أن يرد هذا الظلم وينكره ، أرحم بالإنسانية وأجدى عليها ، من حروب تعلن أنها لتحرير الشعوب وتمكين المستضعفين من حريتهم واستقلالهم .. ثم لا تنتهي هذه الحروب ـــ كما حصل في الحربين العالميتين ـــ إلا بازدياد الظلم الواقع على الأمم ، وبتقسيم بلادها ، وإمعان الأقوياء في سفك دمائها ، وسلب أموالها وكرامتها .

أخلاقية :

تقيدت بمبادئ الحق والعدالة والرحمة مع المغلوبين والمحاربين ، حتى بعد انتصارها وحكمها .. وإنا لنقرأ التاريخ كله فلا نجد فيه مثل هذه الحادثة التالية : لما استخلف عمر بن عبد العزيز وفد عليه قوم من أهل سمرقند فرفعوا إليه أن قتيبة دخل مدينتهم وأسكنها المسلمين على غدر فكتب عمر إلى عامله يأمره أن ينصب لهم قاضيا ينظر فيما ذكروا فإن قضى بإخراج المسلمين أخرجوا فنصب لهم جميع بن حاضر الباجي فحكم بإخراج المسلمين على أن ينابذوهم على سواء فكره أهل مدينة سمرقند الحرب وأقروا المسلمين فأقاموا بين أظهرهم .[1]

جيش غالب يدخل مدينة فيحكم عليه قاضي الدولة بالخروج لأنه دخل بغير حق ، ويخضع الجيش للحكم فيخرج . ولا يدخلها بعد ذلك إلا أن يرضى أهلها !! هذا أروع ما رواه التاريخ من تقيد حرب بمبادئ الأخلاق والحق والعدالة ، ولا اعلم في الدنيا كلها مثل هذا الموقف لأمة من أمم الأرض .. ولا في حرب من حروب التاريخ ..

إنسانية :

هذه الحروب إنسانية ايجابية " لا لمصلحة قوم ، ولا امة ، ولا جنس ، بل كانت لمصلحة أمم العالم كلها ، فاتسع صدرها ، بعد النصر ـــ لجميع شعوب العالم ، واستفادت من كل حضارات العالم ، وأظلت للوائها أمما وشعوبا متباينة اللغات والعادات ، مختلفة الأعراق والديانات ، ولعل الحروب الإسلامية هي الحروب الوحيدة التي أقامت بعد انتصارها حضارة اشترك في بنائها كل شعوب الأرض .. وهل كانت الإنسانية تنعم بثمار الفكر العبقري لعظماء الإسلام الخالدين كأبي حنيفة ، وابن سينا والفارابي والغزالي ـــ وهم من اصل غير عربي ـــ لولا حروب الإسلام وفتوحاته ؟![2]

---

[1]) فتوح البلدان أحمد البلاذري ص 411 دار الكتب العلمية 1403هـ تحقيق رضوان محمد رضوان

[2]) راجع نظام السلم والحرب في الاسلام مصطفى السباعي دار الوراق ط2/1419هـ 1998م ص 66

عادلة :

لم يكتف الإسلام ببناء الرجال ليكونوا أعضاء نافعين في جيش المسلمين ، و لم يكتف بإعداد جيش المسلمين ماديا ومعنويا بل حرص على تطبيق الحرب العالة في الجهاد . والحرب العادلة كما يعرفها قانون الحرب : هي حرب توجه ضد شعب ارتكب ظلما نحو شعب آخر و لم يشأ رفعه ، ويشترط فيها أن تكون مطابقة للقواعد الإنسانية وتكون لغرض تحقيق سلم دائم ووجوب احترام حياة وأملاك الأبرياء وحسن معاملة الأسرى والرهائن .

ومن المعروف أن الجيش الذي يخوض حربا عادلة لإحقاق الحق وإزهاق الباطل والدفاع عن حرية نشر الدعوة وتوطيد أركان السلام دون أن يظلم رجاله احد ا من الناس فان ذلك الجيش يستقتل في حربه ولا بد أن ينتصر .

ومجمل الحرب العادلة في الإسلام : ابتعاد من الغدر ، ووفاء بالعهود ، وإقرار للسلام ، ومعاملة إنسانية لغير المحاربين ، وتمسك بالمثل العليا الرفيعة في معاملة المغلوبين .[1]

[1]) بين العقيدة والقيادة محمود شيت خطاب ص122

السيف ونشر الإسلام

قبل أن نتطرق إلى مناقشة هذا الأمر تعالوا نمشي في ركاب الرسول ﷺ لنرى البر في اجل معانيه والعفو في أكرم صوره والرحمة التي تشمل الناس بنعمة الأمن وتحوطهم بأسباب السلام .

هديه ﷺ في العفو والرحمة :

= لقد هاجر النبي ﷺ وأغرت قريش أبناءها بجائزة كبيرة لمن يدل عليه أو يأتي به حيا أو ميتا وأغرت الجائزة سراقة الذي تبع الرسول وصاحبه حتى وصل إليهما ، وساخت قوائم فرسه مرارا ، وطلب الأمان من الرسول ليعود ، طلب كتابا بذلك حتى لا يؤاخذه إذا علت كلمته وانتصر على قريش !

ماذا كانت النتيجة مع سراقة الذي خرج لا يبغي إلا الفتك برسول الله أو التمكين منه ؟

وماذا كان وفاء الرسول بأمان أعطاه وهو يملك الآن بأن يعاقب ويحاسب ؟

لقد فتح الرسول ﷺ مكة واقبل سراقة يعلن إسلامه فوالله ما سأله الرسول عن شيء فعله حتى مجرد السؤال الذي يخشى منه الزهو بالنصر أو المن عن العباد !!

= وماذا فعل مع أبي سفيان الذي قاد المشركين في معظم حروبهم ؟ ماذا فعل معه وهذه مكة تدين له وتدخل في رحاب دعوته ؟

ماذا فعل معه وهو قادر ولو انه قتله ما لامه احد ولا عد في نظر الناس إلا منصفا عادلا ؟

أمن الرسول الكريم ﷺ أبا سفيان ، وكان دمه مباحا شرعا جزاءا وفاقا له على قيادته الباغية لقوى الشرك والعدوان ، مما يحول بين الناس وبين الإسلام ، إلا أن رسول الله ﷺ وقد تمكن من هذا الذي ناصبه العداوة اخذ يعالجه لعله يؤمن بالله تعالى ورسوله صلوات الله وسلامه عليه فينقذه من الشقاء الأبدي الذي ينتظره لو بقي على كفره ،ويهديه إلى السعادة العظمى التي تنتظر من آمن بالله تعالى ،ولك أن تتأمل كيف شئت في هذا الإعجاز الخلقي الذي ليس وراءه مرمى .

في الأخلاق العملية نجد أن الفرد قد يقطع أخاه لهفوة عابرة ، بل قد تؤدي هذه الهفوة إلى تقاطع أسر وعائلات والى جرائم قتل وسجون . وأن فعلة واحدة من أفاعيل أبي سفيان لو فعلها إنسان آخر وعفا عنه فيها لقلنا انه من اشد الناس حلما ، فما بالك بمن لا يألوا جهدا في إيذاء الآخر ولو ارتكب في سبيل ذلك ما ارتكب ! ثم تصور أن ذلك قد ارتكبه مع حاكم مقتدر فلو عفا وصفح لقلنا انه اشد الناس حلما وعفوا ، إلى هنا تنتهي درجات العفو التي نسمع بها ، فما بالك بمن يعالج من ركب معه في الأذى كل مركب ، ليوصله إلى مراتب السعادة الحقة ويطهره من خبائث النفس ليكون إنسانا طاهرا زكيا ! لم نسمع بعفو مثل هذا قد اقترن بمثل هذه الرحمة والرأفة وأن الأقلام لتعجز عن وصف هذه الخصلة التي لو لم يكن هناك سواها لكفت دليلا عن أن صاحبها هو مصدر مكارم الأخلاق ومالك أعنتها . [1] ولما أسلم أبو سفيان قال ﷺ "من دخل دار أبي سفيان فهو آمن ..." [2]

= ثم هذا عكرمة بن أبي جهل كان من أعداء رسول الله ولما فتح رسول الله ﷺ مكة خاف عكرمة على نفسه مما فعل ففر إلى اليمن وكانت زوجته أم حكيم بنت الحارث فاستأمنت له من رسول الله ﷺ وخرجت تطلبه وتهدئ من روعه وأخبرته بعفو رسول الله ﷺ . [3]

" يا لقريش ماذا فعل رسول الله ﷺ معهم حتى يلحقوا به وبالمسلمين كل إذاية ممكنة ! وهل يستطيع أحد أن يبرر اضطهادهم لمجرد دعوتهم إلى الله سبحانه وتعالى ! كم ألبوا وكم تآمروا وكم نالوا من المسلمين ! وها هو رسول الله ﷺ يعفو عنهم بعد أن تمكن منهم وظفر بهم .

وأمام هذا العفو المحمدي الكامل الذي يحسن إلى المسيء مهما كانت إساءته ، انهار سور العداوة الموروثة المتأجج الذي لا يقود إلا إلى شر بعد شر ، يالالانسان حين تنقشع عنه حجب الباطل فيجد نفسه فجأة غارقا في أنوار الحق : ولو كان الخجل يقتل لخر الإنسان صعقا في هذه اللحظة .

---

[1]) قصص من الشمائل المحمدية احمد عز الدين عبد الله ص 141 مكتبةالتوبة ط1424/1هـ2003م

[2]) مسلم (1780) وابو داود (3021)

[3]) انظر الاصابة ت(5640) اسد الغابة ت (3741)

عاد عكرمة مع زوجته إلى مكة ليرى هذه المرة رسول الله ﷺ ، وما أن دخل مجلس رسول الله ﷺ حتى قام إليه واعتنقه قائلا : مرحبا بالراكب المهاجر " [1]

= مع قريش في فتح مكة : إن الموت أمر لابد منه خلال الحروب والأزمات ، أما أن تهدي الحياة للآخرين فهذا أمر نبيل ، وأطهر منه وأشرف وأنبل أن تمنح الحياة لمن آذوك ، وتعطي فرصة أخرى لهم ليتفكروا ، وهذا ما أراده ﷺ فإن الأيام كفيلة بأن تطهر من عقول من تبقى من قريش ومن أفئدتها براثن الجهل والجاهلية .

يقول الله عز وجل له يوم فتح مكة { وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ }(النحل : 126)

فيختار الشريف الكريم الطاهر " نصبر ولا نعاقب "

إذ العقائد التي يبنيها الحقد يهدمها الانتقام ، والعقائد التي يبنيها الحب يحميها الإحسان .

لقد عفا وصفح صفحا تاما عن قريش المتغطرسة ، وهذا اكبر دليل على نبوته .

انه إنسان صاحب رسالة إلهية إنسانية ، ليست مهمته القصاص وإنما أن يثير في النفس النقاء والطهر ، وان يقدح في العقل التفكير السوي ، وأما الحياة عنده فهي ميدان سباق وسعي إلى أرقى ، دون حقد أو ضغينة ، بل فضائل تسمو بالإنسان إلى حياة متزنة ومعطاءة .[2]

وتم الفتح بسلام وطاف رسول الله ﷺ بالبيت على راحلته ، وصلى ركعتين ، ثم أتى الكعبة فأخذ بعضادتي الباب فقال : ما تقولون وما تظنون ؟ فقالوا : نقول أخ وابن عم ، حليم رحيم ، قالوا ذلك ثلاثا فقال صلى الله عليه وسلم : أقول كما قال يوسف { لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ } (يوسف : 92) قال : فخرجوا كأنما نشروا من القبور ، فدخلوا في الإسلام .[3]

بل إن هذا العفو المحمدي قد اقترن بما لا يصدر إلا عن مرتبته صلوات الله وسلامه عليه فقط إذ لم يرد ﷺ على المهاجرين دورهم التي اخرجوا منها وتركها في أيدي الذين

---

[1]) فتح الباري 160/1 ، وضعفه الالباني في ضعيف الترمذي 2735

[2]) في ظلال السيرة النبوية علاء الدين آل رشي وخلود معطي ، ص162، دار الفكر ط1422/1هـ2001م

[3]) السنن الكبرى) للبيهقي 9 / 118 ، وقال العراقي في (تخريج الإحياء) 3 / 179 : (فيه ضعف)

أخرجوهم ، واقرهم على تصرفاتهم فيها من بيع أو شراء أو سكنى أو انتفاع بها وقضى ﷺ أن من أسلم على شيء فهو له .

أبعد هذا يمكن أن يقال : أن هذا الدين قد انتشر بالسيف !!

انه انتشر بالعدل والصدق وملائمة الفطرة ، ولم ينتشر قط بالسيف ، فأين السيف لأناس حاربوه ، وانهزمت دولته ، فانتصر هو في نفوس أعدائه وتحولت سيوفهم من حرب عليه إلى مناصرة له ؟

انتشر هذا الدين بالرحمة ولم ينتشر بالقهر والغلبة ، فما عرف أن الإسلام نزل معركة لم يدع إليها أو خاض حربا يمكن الاستغناء عنها .

ما عرف عنه قط انه وقف في ميدان ما معتديا أو ظالما .

وهو لا يفقد أبدا حصانة الأخلاق والحرب قائمة كما لا يفقد نزاهة العدل ونعمة العفو والحرب ظافرة [1]

إن الإسلام لم يعتمد قط على القوة أو البطش ، والقوة مهما بلغت أعجز عن أن تقيم عقيدة أو تحرس دعوة ما لم يكن للعقيدة أصالتها وللدعوة عوامل بقائها .

وكم هزم المسلمون وبقي الإسلام ! وكم ديست دياره فسيطر على الغاصبين نوره ، فتحولوا من عداوته إلى حبه ، ومن حرب عليه إلى تأييد له !!

إن الإسلام مع كونه يمد يد السلام ويقوم على المودة والرحمة يأبى كل الإباء أن تداس مقدساته ، وان يقوم السلم على حساب هضم الحقوق ، فتلك مسألة يأباها الإسلام ، لأنه يأبى الظلم في أية صورة لمتبعيه أو مخالفيه على السواء .

وإذا كانت المسالمة تقوم على البر والمودة والرحمة إلا أنها ليست مسالمة الضعيف أو بر الخائف أو مودة الذليل أو رحمة السلبية والعزلة !

إنها لو كانت كذلك لفقدت الكلمات مدلولها ، فان مسالمة الضعيف ضعف ، وبر الخائف خوف ، ومودة الذليل مذلة ، ورحمة السلبي سلب !!

---

[1]) الدعوة الاسلامية دعوةعالمية محمد الراوي ص506

لكن الإسلام يسالم وبيده القوة ، ويبر وهو في منعة لا يرائي أحدا ولا يخشى بأس احد ، ويبسط المودة عن اعتزاز بالله وإيمان لا عن ذلة أو صغار ، ويرحم وهو يتفاعل في مجالات الحياة المختلفة لتعم الرحمة وتتحقق في أعماق الناس وسلوكهم .

ومن هنا كانت القوة التي طالب الإسلام بها وأمر أتباعه أن يحققوها : قوة امن تحرس الحق وترعاه ، وترد الظلم ولا ترضاه ، وهي في الوقت نفسه قوة لا تصدر عن هوى أو تسلط ، وإنما تصدر بأمر الله الذي حرم الظلم على نفسه وجعله محرما بين خلقه .

فهي قوة عدل في الأرض وتحقيق الأمن بين الخلق { وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا ۚ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ } (البقرة : 190) [1]

[1]) المرجع السابق ص 520 -522

براهين تاريخية

وبعد أن ذكرنا القليل القليل من رحمة الرسول الكريم وعفوه ، نذكر بعض أحداث التاريخ التي تضع البراهين الواحد تلو الأخر ، وتنشر الحقيقة بلا غبش ولا لف ولا دوران بحيث لا يبقى للشك مجال في ان الإسلام لم ينتشر بالسيف وإنما انتشر بالدعوة ، فهو دين الفطرة :

= حينما كان الرسول في مكة ، وحينما بدأ دعوته وحيدا لا سلاح معه ولا مال ، دخلها مجموعة من عظماء الرجال من أمثال : أبي بكر وعثمان وسعد ابن أبي وقاص وطلحة والزبير ثم عمر بن الخطاب وحمزة بن عبد المطلب ... فهل يمكن ان نقول ان هؤلاء دخلوا بالقوة ، وأين القوة في ذلك الوقت ؟ ويقول عباس العقاد : ان كثيرين من الناس لم يخضعوا للسيف ليسلموا ، ولكنهم تعرضوا بإسلامهم للسيف ، واحتملوا السيف في سبيل الله .

= اضطهدت قريش المسلمين اضطهادا قاسيا ، وأنزلت بمحمد وأتباعه ألوانا من العذاب ، وفي وسط هذا العناء حينما كان محمد والمسلمون معه بمكة مغلوبين على أمرهم مستضعفين ، كان أهل المدينة يسعون للإسلام ويعتنقونه ويدعون له ذويهم وأهليهم ، فهل يمكن أن نقول أن الإسلام انتشر بالقوة بين سكان المدينة ؟ [1]

= يحدثنا التاريخ بصراحة ووضوح أن أهم فترة انتشر فيها الإسلام هي فترة السلم الذي تلا صلح الحديبية بين قريش والمسلمين ، وكانت فترة السلم سنتين .
قال صاحب الظلال : ومرة أخرى أحاول من وراء أربعة عشر قرنا أن أستشرف وجوه هؤلاء الرجال السعداء وقلوبهم . وهم يتلقون هذا الفيض الإلهي من الرضى والتكريم والوعد العظيم . وهم يرون أنفسهم هكذا في اعتبار الله ، وفي ميزان الله ، وفي كتاب الله . وأنظر

---

[1]) موسوعة التاريخ الاسلامي المجلد الاول السيرة النبويةالعطرة د. احمد شلبي ط13/1988م مكتبة النهضة المصرية ص 457

إليهم وهم عائدون من الحديبية ، وقد نزلت هذه السورة ـــ سورة الفتح ـــ وقد قرئت عليهم . وهم يعيشون فيها بأرواحهم وقلوبهم ومشاعرهم وسماتهم . وينظر بعضهم في وجوه بعض فيرى أثر النعمة التي يحسها هو في كيانه .

وأحاول أن أعيش معهم لحظات في هذا المهرجان العلوي الذي عاشوا فيه . . ولكن أنى لبشر لم يحضر هذا المهرجان أن يتذوقه . إلا من بعيد ؟!

اللهم إلا من يكرمه الله إكرامهم : فيقرب له البعيد ؟! [1]

لقد كان صلح الحديبية فتحا في الدعوة . يقول الزهري : فما فتح في الإسلام فتح قبله كان أعظم منه . إنما كان القتال حيث التقى الناس . فلما كانت الهدنة ، ووضعت الحرب ، وأمن الناس بعضهم بعضا ، والتقوا ، فتفاوضوا في الحديث والمنازعة ، ولم يكلم أحد في الإسلام يعقل شيئا إلا دخل فيه . ولقد دخل في تينك السنتين " بين صلح الحديبية وفتح مكة " مثل من كان في الإسلام قبل ذلك أو أكثر .

قال ابن هشام : والدليل على قول الزهري أن رسول الله ﷺ خرج إلى الحديبية في ألف وأربع مائة في قول جابر بن عبد الله . ثم خرج عام فتح مكة بعد ذلك بسنتين في عشرة آلاف . وكان ممن أسلم خالد بن الوليد وعمرو بن العاص .[2]

وقال ابن القيم : كانت الهدنة مقدمة بين يدي الفتح الأعظم الذي أعز الله به رسوله وجنده ، ودخل الناس به في دين الله أفواجا ، فكانت هذه الهدنة بابا له ومفتاحا ومؤذنا بين يديه ، وهذه عادة الله في الأمور العظام التي يقضيها قدرا وشرعا ان يوطئ لها بمقدمات وتوطيئات تؤذن لها وتدل عليها . [3]

= أين الدم في غزوات الرسول ؟

بغزوة تبوك التي كانت في رجب سنة تسع للهجرة انتهت الغزوات النبوية ، التي بلغ عددها سبعا وعشرين غزوة ، والبعوث والسرايا التي بلغ عددها ستين ، ولم يكن في كلها قتال .

---

[1]) في ظلال القرآن 3333/6

[2]) السيرة النبوية ابن هشام تحقيق السقا

[3]) زاد المعاد 309/3

وقد أريق في جميع هذه الغزوات والسرايا التي بعثها النبي ﷺ أقل دم عرف في تاريخ الحروب والغزوات ، فلم تتجاوز قتلاها كلها 1018 قتيلا من الفريقين . وكانت حاقنة لدماء لا يعلم عددها إلا الله ، عاصمة لنفوس وأعراض لا يحصيها إحصاء ، باسطة الأمن في أرجاء الجزيرة حتى استطاعت الظعينة أن ترتحل من الحيرة حتى تطوف بالكعبة ، لا تخاف أحدا إلا الله ، والمرأة من القادسية على بعيرها حتى تزور هذا البيت لا تخاف بعدما كانت الجزيرة كلها كفلا حابل ، وشبكة دقيقة من ترات وثارات ، وحروب وغارات ، لا تمشي فيها قوافل الحكومات الكبيرة إلا بخفارة ساهرة وذرقة ماهرة .

وكانت هذه الحروب مؤسسة على الأصلين القرآنيين الحكيمين { وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ } و { وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الأَلْبَابِ } ، موفرة على النوع الإنساني والمجتمع البشري قدرا كبيرا من الوقت والجهد في تغيير الأحوال ودرء الأخطار ، وكانت خاضعة لآداب خلقية وتعليمات رحيمة ، جعلتها أشبه بعملية التأديب ، منها بعملية التعذيب .

أما بالنسبة إلى نجاح العملية وسرعتها فقد استمر التوسيع بنسبة 274 ميلا مربعا في ظرف عشر سنوات و لم يخسر المسلمون فيها إلا بنسبة شخص واحد في الشهر ، وكان أقصى خسائر العدو في النفوس 150 شخصا فلما اكتملت السنوات العشر خضع أكثر من مليون ميل مربع للحكم الإسلامي .[1]

= جاء الصليبيون إلى الشرق إبان ضعف الخلافة العباسية لمحو الإسلام والقضاء عليه ، وإذا بالإسلام يجذب جموعا منهم فيدخلونه ويحاربون في صفوف المسلمين يقول توماس أرنولد " لقد اجتذبت الدعوة المحمدية إلى أحضانها من الصليبين عددا مذكورا في العهد الأول أي القرن الثاني عشر و لم يقتصر ذلك على عامة النصارى بل إن بعض أمرائهم وقادتهم انضموا أيضا إلى المسلمين حتى في ساعات انتصار المسيحيين "

ويروي توماس أرنولد عن بعض مؤرخي النصارى قوله " إن ستة من أمراء مملكة القدس استولى عليهم الشيطان ليلة معركة حطين فاسلموا وانضموا إلى صفوف الأعداء دون أن يقهروا من أحد على ذلك ، ويعلل توماس أرنولد لانتشار الإسلام بين الصليبيين بقوله :

---

[1]) السيرة النبوية ابوالحسن الندوي رحمه الله

ويظهر أن أخلاق صلاح الدين وحياته التي انطوت على البطولة قد أحدثت في أذهان المسيحيين في عصره تأثيرا سحريا خاصا ، حتى أن نفرا من الفرسان المسيحيين قد بلغ من قوة انجذابهم إليه أن هجروا ديانتهم المسيحية وهجروا قومهم وانضموا إلى المسلمين . فهل يمكن القول أن الإسلام انتشر بين الصليبين بالقوة ؟[1]

= وتدور أحداث التاريخ وفي القرن السابع الهجري " زحفت جحافل المغول تدك الأرض دكا ، حاملين معهم خصائصهم التي امتازوا بها وهي تدمير البناء وحرق المزارع وإشاعة الذعر والرعب والهمجية الحيوانية وسفك الدماء فسالت انهارا ، وحطموا مظاهر الحضارة الإسلامية به ، وهدموا القصور والمساجد ، واحرقوا الكتب وقتلوا العلماء ، وامتدت أيديهم إلى الخليفة فقتلوه وقتلوا معه أهله ، وأزالوا الخلافة العباسية سنة 656هـ وأصبحت للمغول اليد العليا ، وهوت أمامهم كل قوى المسلمين في عاصمة الخلافة وما حولها.

وكان المغول من الوثنيين ومن عبدة الشر والشياطين واعتنق بعضهم ـــ وهم قلة ـــ الديانة البوذية أما الغالبية فكانت ترى انه لا يسود البشر غير المقاتل الشرس الذي لا يعتنق أيا من الديانات السماوية .

ثم أيقظت صيحة وإسلاماه وجدان الناس !! وكانت صيحة واحدة صادقة قلبت الأوضاع في يوم واحد من عمر الزمن الهائل وانتصر الإسلام وكانت هزيمة المغول وهم الذين لا يعرفون طعم الهزيمة منذ خروجهم من غرب الصين إلى عين جالوت في فلسطين .

وأمام الهزيمة يقفون في ذهول وتولد في نفوسهم لذة الحياة واطمئنان الروح بعدما كانوا " كالأنعام بل هم أضل " بعد ضياع القيم وانحلال الجسد وخواء الروح كانوا يحصدون الرؤوس ويعيثون في الأرض فسادا ونهبا وإحراقا وتشريدا وتعذيبا بلا هدف أو غاية أو منهج أو قانون سوى قانون الغاب ولبس الشياطين وكانت الهزيمة هي الحد الفاصل لذلك كله فاعتنقوا الإسلام واجتمع الذئب والحمل .

---

[1]) موسوعة التاريخ الاسلامي المجلد الاول السيرة النبويةالعطرة ص 457-458 د. احمد شلبي ط1988/13م مكتبة النهضة المصرية

في مكان واحد بل إن الذئب أفنى نفسه في الحمل حيث أن التتار كما يقول الباحث النصراني سيتون لويد " عملوا على هضم ما تبقى من المدينة التي دمروها واندمجوا في جمع العالم الإسلامي و لم يبق لهم كيان قائم بنفسه بالمرة " .

لقد قلبت صرخة وإسلاماه الموازين والأوضاع فقد عز المسلمون بعد ذل وفتحت آلافا من القلوب دون إكراه أو ضغط أو إرهاب !! وانطلق التتار يدخلون في الدين الجديد حتى صاروا من حماته المجاهدين ودعاته المنتشرين في الأرض للخير والسلام والهداية والسعادة الحقيقية .إنها حالة معاكسة للغالب والمغلوب لا أثر فيها مطلقا للقسر العقيدي وإنما حرية الاختيار وإغراء الإسلام نفسه هي التي قادت أن يقف التتار وقفة صادقة أمام هزيمتهم فيدينون بالإسلام ويتشبثون بحضارته وعقيدته التي صاغت هذه الحضارة ويقبلون لغته ونظمه " [1]

= يقول الكاتب النصراني الفرنسي هوبير ديشان حاكم المستعمرات الفرنسية بافريقية حتى سنة 1950م :

إن انتشار دعوة الإسلام بأفريقية لم يقم على القسر ، وإنما قام على الاقناع الذي كان يقوم به دعاة متفرقون لا يملكون حولا ولا طولا إلا ايمانهم العميق بدينهم ، وكثيرا ما انتشر الاسلام بالتسرب السلمي البطئ من قوم الى قوم ، فكان اذا ما اعتنقته الارستقراطية وهي هدف الدعاة الاول تبعتها بقية القبيلة ، وقد يسر انتشار الاسلام امر اخر هو انه دين فطرة بطبيعته ، سهل التناول ، لا لبس ولا تعقيد في مبادئه ، سهل التكيف والتطبيق في مختلف الظروف ، ووسائل الانتساب إليه أيسر وأيسر ، اذ لا يطلب من الشخص لإعلان اسمه سوى النطق بالشهادتين حتى يصبح في عداد المسلمين ، وقد حبب الاسلام الى الافريقيين مظاهره البعيدة عن التكلف مثل الثوب الفضفاض ، والمسبحة ، والكتابة العربية ، والوقار الديني ، وشعائر الصلاة ، مما يضفي على الملم مكانة مرموقة وجاذبية ساحرة ، فالذي يدخل في الاسلام ولو في الظاهر يشعر بأنه اصبح ذا شخصية محترمة وانه قد ازداد من القوة والحيوية [2].

---

[1]) مقال فقه الهزيمة جريدة المحايد لـــ وائل بن ابراهيم .

[2]) موسوعة التاريخ الاسلامي المجلد الاول السيرة النبويةالعطرة د. احمد شلبي ط1988/13م مكتبة النهضة المصرية ص462

= تقول الباحثة الالمانية الدكتورة : Ilse Lietenstadter ان التخيير ببلاد الفرس والروم لم يكن بين الاسلام والسيف ، وإنما بين الإسلام والجزية ، وهي الخطة التي استحقت الثناء لاستنارتها حين اتبعت بعد ذلك في انجلترا إبان حكم الملكة اليصابات .[1]

[1]) المرجع السابق ص463

قضية حق

إن الإسلام ضد الحرب .. ولكن حين تفرض عليك هذه الحرب فلا مناص من المواجهة ولا مفر من القضاء على قوى الطغيان والشر، وهذا ما فعله عيسى عليه السلام أيضاً فعلى الرغم من أنه قال: " لاَ تُقَاوِمُوا الشَّرَّ بَلْ مَنْ لَطَمَكَ عَلَى خَدِّكَ الأَيْمَنِ فَحَوِّلْ لَهُ الآخَرَ أَيْضاً .

وَمَنْ أَرَادَ أَنْ يُخَاصِمَكَ وَيَأْخُذَ ثَوْبَكَ فَاتْرُكْ لَهُ الرِّدَاءَ أَيْضاً.

وَمَنْ سَخَّرَكَ مِيلاً وَاحِداً فَاذْهَبْ مَعَهُ اثْنَيْنِ.

مَنْ سَأَلَكَ فَأَعْطِهِ وَمَنْ أَرَادَ أَنْ يَقْتَرِضَ مِنْكَ فَلاَ تَرُدَّهُ.

أَحِبُّوا أَعْدَاءَكُمْ. بَارِكُوا لاَعِنِيكُمْ. أَحْسِنُوا إِلَى مُبْغِضِيكُمْ وَصَلُّوا لأَجْلِ الَّذِينَ يُسِيئُونَ إِلَيْكُمْ وَيَطْرُدُونَكُمْ" (متى 5: 39 – 44)

فعلى الرغم من هذا السلام الذى يعلمه أتباعه إلا أنه عندما أحس بتآمر اليهود وقوى الشر عليه قال: "لَكِنِ الآنَ مَنْ لَهُ كِيسٌ فَلْيَأْخُذْهُ وَمِزْوَدٌ كَذَلِكَ. وَمَنْ لَيْسَ لَهُ فَلْيَبِعْ ثَوْبَهُ وَيَشْتَرِ سَيْفاً." (لوقا 22: 36)

إن المسألة ليست مسألة حرب وقتال بقدر ما هي قضية حق وباطل ، قضية حق يسالم وباطل يبغي ويتسلط .

والذين يقولون : ان الاسلام انتشر بالسيف غابت عنهم الموازنة بين القوى المتصارعة فان قيل مكابرة : انه انتصار سيف ، كانت معجزة السيف هنا مغرية بالتعرف على الحقيقة داعية الى تأمل هذا الامر الخارج عن المألوف وهو انتصار العرب على الفرس والروم .

ان الذين يدعون ان الاسلام انتشر بالسيف لم يدركوا ان الرسول ارسل كتبه الى ملوك الارض يبلغهم رسالة الله ، و لم يكن لديه من قوة العدد ما لديهم ، او عنده من وفرة العتاد ما يغريه بحربهم او قتالهم .

وما على الذين يظنون ان السيف سبيل هذا الدين ، إلا ان يتأملوا خريطة العالم ليروا أي سيف هذا الذي امتد فطوى في احضانه دولتي الفرس والروم !!

أي سيف هذا الذي اقام الامن في ربوعهما وحقق العدل ورفع منارة الحق ؟
ان كان السيف قد صنع كل هذا فما احوج الانسانية اليوم اليه ، ليرد اليها امنها ويرعى سلامها ، ويحفظ مودتها وإخاءها ، ويشيع في ربوعها العدل والرحمة ويحمي منارة العلم والمعرفة .
وان عجز السيف أي سيف بل ان عجزت القوى الفتاكة التي تحرزها دول العالم اليوم ان تحقق معنى واحدا من معاني البر والإنسانية .
فإن المسألة ليست مسألة سيف او قنابل ذرية او هيدروجينية بل هي مسالة دين فطري موجه ، وحقيقة تبعث خصائص لنفس الانسانية فتتيح لأكرم الفضائل ان تغزو قلوب الناس بالعمل الصالح والسعي العادل والموعظة الحسنة .

يقول الاستاذ عباس محمود العقاد :
وأيسر من استقصاء الحروب وأسبابها في صدر الاسلام ان نلقي نظرة عامة على خريطة العالم في الوقت الحاضر لنعلم ان السيف لم يعمل في انتشار هذا الدين إلا القليل مما عمله الاقناع والقدوة الحسنة .
فان البلاد التي قلت فيها حروب الإسلام هي البلاد التي يقيم فيها اليوم اكثر مسلمي العالم وهي بلاد اندونيسيا والهند والصين وسواحل القارة الإفريقية وما يليها من سهول الصحارى الواسعة ، فان عدد المسلمين فيها قريب من ثلاثمائة مليون ، ولم يقع فيها من الحروب بين المسلمين وأبناء تلك البلاد إلا القليل الذي لا يجدي في تحويل الالاف عن دينهم بله الملايين [1].

وانفع من الاحصاءات والمقارنات ان نتفهم حقيقة هذا الدين وخصائصه ومقوماته .

---

[1]) الدعوة الاسلامية دعوة عالمية محمد الرواي ص 531 مكتبةالعبيكان ط1/1415هـ 1995م

خصائص الاسلام ومقوماته

إن رسالة الاسلام تدعو الى نفسها بنفسها ، يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار ... انها رسالة النور والإيمان والعدل والإحسان ... رسالة الفطرة السليمة والأخلاق الكريمة ، والسياسة الحكيمة ، فلماذا لا تكون رسالة الانسانية كلها ؟ لماذا لا تعتنقها البشرية جمعاء ؟ [1]

ويقول الرئيس البوسنوي المفكر الكبير علي عزت بيجوفتش ـــ رحمه الله تعالى ـــ :

ان الاسلام لم يأخذ اسمه من قوانينه ولا نظامه ولا محرماته ولا من جهود النفس والبدن التي يطالب الانسان بها ، وإنما من شيء يشمل هذا كله ويسمو عليه : من لحظة فارقة تنقدح فيها شرارة وعي باطني .. من قوة النفس في مواجهة محن الزمان .. من التهيؤ لاحتمال كل ما يأتي به الوجود .. من حقيقة التسليم لله .. انه استسلام لله .. والاسم اسلام ! [2]

ونحاول بإيجاز ان نبين خصائص ومقومات هذا الدين العظيم دين الاسلام دين البشرية اجمعين :

أولا : الربانية

المراد من الربانية أمران :

أولا : ربانية المصدر والمنهج :

ونعني به أن المنهج الذي رسمه الإسلام للوصول إلى غاياته وأهدافه ، منهج رباني خالص ، لأن مصدره وحي الله تعالى إلى خاتم رسله محمد صلى الله عليه وسلم.

لم يأت هذا المنهج نتيجة لإرادة فرد ، أو إرادة أسرة ، أو إرادة طبقة ، أو إرادة حزب ، أو إرادة شعب ، وإنما جاء نتيجة لإرادة الله ، الذي أراد به الهدى والنور ، والبيان والبشرى ،

---

١) نظرات في الاسلام عبد الله دراز ص 14

٢) الاسلام بين الشرق والغرب : علي عزت بيجوفيتش ص 393

والشفاء والرحمة لعباده . كما قال تعالى يخاطبهم: { يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ بُرْهَانٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُبِينًا }(النساء : 174) { يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدىً وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ } (يونس : 57)

ولذا فالإسلام هو المنهج أو المذهب أو النظام الوحيد في العالم ، الذي مصدره كلمات الله وحدها، غير محرفة ولا مبدلة و لا مخلوطة بأوهام البشر، وأغلاط البشر، وانحرافات البشر.

والمناهج أو الأنظمة التي نراها في العالم إلى اليوم ثلاثة، فيما عدا الإسلام طبعا:

١. منهج أو مذهب، أو نظام مدني بشري محض، مصدره التفكير العقلي، أو الفلسفي لبشر فرد، أو مجموعة من الأفراد، كالشيوعية، والرأسمالية والوجودية، وغيرها.
٢. منهج أو نظام ديني بشري كذلك. مثل الديانة البوذية القائمة في الصين، واليابان، والهند، والتي لا يعرف لها أصل إلهي، أو كتاب سماوي، فمصدرها إذن فكر بشري.
٣. منهج أو مذهب ديني محرف، فهو ـــ وإن كان إلهيا في أصله ـــ عملت فيه يد التحريف والتبديل فأدخلت فيه ما ليس منه، وحذفت منه ما هو فيه، واختلط فيه كلام الله بكلام البشر، فلم يبق ثمت ثقة بربانية مصدره، وذلك كاليهودية والنصرانية، بعد ثبوت التحريف في التوراة والإنجيل نفسيهما، فضلا عما أضيف إليهما من شروح وتأويلات ومعلومات بشرية، بدلت المراد من كلام الله.

أما الإسلام فهو المنهج الفذ الذي سلم مصدره من تدخل البشر، وتحريف البشر، ذلك أن الله تعالى تولى حفظ كتابه، ودستوره الأساسي بنفسه، وهو القرآن المجيد، وأعلن ذلك لنبيه ولأمته فقال: { إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ } (الحجر : 9)

الإسلام منهج رباني خالص :

إن الإسلام منهج رباني، مئة في المائة.(100%)

عقائده وعباداته ..

وآدابه وأخلاقه ..

وشرائعه ونظمه ..

كلها ربانية إلهية ..

أعني في أسسها الكلية ..

ومبادئها العامة .. لا في التفريعات والتفصيلات والكيفيات.

ثانيا : ربانية الغاية والوجهة :

فأما ربانية الغاية والوجهة ، فنعني بها :

أن الإسلام يجعل غايته الأخيرة وهدفه البعيد، هو حسن الصلة بالله تبارك وتعالى، والحصول على مرضاته ، فهذه هي غاية الإسلام ، وبالتالي هي غاية الإنسان ، ووجهة الإنسان ، ومنتهى أمله ، وسعيه ، وكدحه في الحياة .

ولا جدال في أن للإسلام غايات وأهدافا أخرى إنسانية واجتماعية ، ولكن عند التأمل ، نجد هذه الأهداف في الحقيقة خادمة للهدف الأكبر ، وهو مرضاة الله تعالى ، وحسن مثوبته . فهذا هو هدف الأهداف ، أو غاية الغايات .

في الإسلام تشريع ومعاملات ، ولكن المقصود منها هو تنظيم حياة الناس حتى يستريحوا ، ويبرأوا من الصراع على المتاع الأدنى ، ويفرغوا لمعرفة الله تعالى ، وعبادته ، والسعي في مراضيه .

وفي الإسلام جهاد وقتال للأعداء، ولكن الغاية هي : { حَتَّى لا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ } (الانفال : 29)

وفي الإسلام حث على المشي في مناكب الأرض، والأكل من طيباتها، ولكن الغاية هي القيام بشكر نعمة الله وأداء حقه : { كُلُوا مِنْ رِزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ } (سبأ : 15)

وكل ما في الإسلام من تشريع وتوجيه وإرشاد، إنما يقصد إلى إعداد الإنسان ليكون عبدا خالصا لله، لا لأحد سواه. ولهذا كان روح الإسلام وجوهره هو التوحيد. [1]

---

١) الخصائص العامة للاسلام يوسف القرضاوي الفصل الاول : الربانية . ومدخل لمعرفة الاسلام يوسف الفرضاوي ص131-140

أثار الربانية :

1- العصمة من التناقض والتطرف والاختلاف :

ذلك ان الناس بطبيعتهم البشرية يتناقضون ويختلفون فيما بينهم ، وفق اختلاف عقولهم وأمزجتهم ، وأوضاعهم وبيئاتهم ، حتى الفرد الواحد ربما يختلف تفكيره من حالة إلى أخرى ، ومن وقت إلى آخر ، فإذا كانت هذه هي طبيعة العقل البشري وضرورة تأثره بالزمان والمكان والأوضاع والأحوال ، فكيف نتصور براءته من التناقض والاختلاف فيما يضعه من مناهج للحياة ، سواء كانت مناهج للتصور والاعتقاد ام للعمل والسلوك ؟! ومن مظاهر هذا التناقض ما نراه ونلمسه في كل الانظمة البشرية و الدينية ، الوضعية والمحرفة ، من افراط او تفريط ، كما هو واضح من موقفها من الروحية والمادية ، او الفردية والجماعية ، او من الواقعية والمثالية ، او من العقل والقلب ، او من الثبات والتطور وغيرها من المتقابلات ... [1]

2- البراءة من الجور والنقص والهوى :

ان الاسلام بتعاليمه وتشريعاته من الله تعالى والله له الكمال المطلق الذي هو من لوازم ذاته بخلاف القوانين البشرية التي لا تنفك عن التحيز والظلم والنقص والهوى لصدورها عن الانسان . [2]

3- الاحترام وسهولة الانقياد :

ومن ثمرات هذه الربانية انها تضفي على المنهج الرباني قدسية واحتراما لا يظفر بهما أي نظام او منهج من صنع البشر ، ويتبع هذا الاحترام والتقديس : الرضا بكل تعاليم هذا النظام وأحكامه وتقبله بقبول حسن مع انشراح الصدر ، وإقناع العقل ، وطمأنينة القلب .

ويلزم من هذا الاحترام والتقديس وحسن القبول : المسارعة الى التنفيذ والسمع والطاعة في المنشط والمكره ، دون تلكؤ أو تكاسل أو تحايل على الهرب من تكاليف النظام والتزاماته ، والتقيد بأوامره ونواهيه .

---

١) الخصائص العامة للاسلام القرضاوي ص 48-49

٢) المدخل لدراسة الشريعة عبد الكريم زيدان مؤسسة الرسالة 1980 ص 39

ومن الامثلة التي تبين مواقف المسلمين والمسلمات في العهد النبوي من شرع الله تعالى وأمره ونهيه .

١ -موقف المسلمين عقب تحريم الخمر :

عن انس رضي الله عنه قال : كنت ساقي القوم يوم حرمت الخمر في بيت ابي طلحة ، فإذا منادٍ ينادي ألا إن الخمر قد حرمت ، فجرت في سكك المدينة . قال فقال : أبو طلحة : أخرج فاهرقها قهرقتها .[١]

وعن ابن بريدة عن أبيه قال : بينا نحن قعود على شراب لنا ، ونحن رمله ، ونحن ثلاثة أو أربعة ، وعندنا باطية لنا ، ونحن نشرب الخمر حلا ، إذ قمت حتى أتي رسول الله ﷺ فاسلم عليه ، إذ نزل تحريم الخمر { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ } إلى أخر الآيتين { فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ } فجئت إلى أصحابي فقرأتها إلى قوله { فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ } قال : وبعض القوم شربته في يده ، قد شرب بعضها ، وبقي في الإناء ، فقال بالإناء تحت شفته العليا كما يفعل الحجام ، ثم صبوا ما في باطيتهم فقالوا : انتهينا ربنا .[٢]

٢ -موقف النساء المسلمات الأول مما حرم الله عليهن من تبرج الجاهلية ، وما اوجب عليهن من الاحتشام والتستر . عن صفية بنت شيبة قالت: بينا نحن عند عائشة قالت فذكرنا نساء قريش وفضلهن، فقالت عائشة رضي الله عنها إن لنساء قريش لفضلاً وإني والله وما رأيت أفضل من نساء الأنصار أشد تصديقاً بكتاب الله ولا إيماناً بالتنزيل لقد أنزلت سورة النور { وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ } انقلب إليهن رجالهن يتلون عليهن ما أنزل الله إليهم فيها ويتلو الرجل على امرأته وابنته وأخته وعلى كل ذي قرابته فما منهن امرأة إلا قامت إلى مرطها المرحل فاعتجرت به تصديقاً وإيماناً بما أنزل الله من كتابه، فأصبحن وراء رسول الله صلى الله عليه وسلم الصبح معتجرات كأن على رؤوسهن الغربان. [٣]

---

١) البخاري (4620) مسلم (1980)

٢) تفسير الطبري (572/10) وذكره ابن كثير في تفسير سورة المائدة اية 91)

٣) تفسير بن كثير سورة النور اية31 عن ابي حاتم . ورواه ابوداود من غير هذا الوجه (4001)

هذا هو موقف النساء المؤمنات ما شرع الله لهن موقف المسارعة إلى تنفيذ ما أمر ، واجتناب ما نهى بلا تردد ، ولا توقف ولا انتظار ، اجل لم ينتظرن يوما أو يومين أو أكثر حتى يشترين أو يخطن أكسية جديدة تلائم غطاء الرؤوس وتسع لتضرب على الجيوب ، بل أي كساء وجد ، وأي لون تيسر ، فهو الملائم والموافق فان لم يوجد شققن من ثيابهن ومروطهن وشددنها على رؤوسهن غير مباليات بمظهرهن الذي يبدون به ،كأن على رؤوسهن الغربان ، كما وصفت أم المؤمنين "[1]

وهكذا فالثقة بمصدر الإسلام يجعل التزام العمل به ينبع من داخل النفس وهذا من أعظم مفاهيم الانضباط والانقياد والسمو في سير الحياة ..

4- التحرر من عبودية الإنسان للإنسان :

ان العبودية أنواع متعددة وإن من أشدها خطرا وأبعدها أثرا هو خضوع الإنسان لإنسان مثله ، يحل له أو يحرم عليه ما شاء ، ويأمره بما اراد ، فيأتمر ، بتعبير اخر يضع له نظام او منهج حياة فيلتزم به ويذعن له ، والحق أن الذي يملك ذلك هو الله تعالى وحده ، ولهذا أنكر الله تعالى على الذين اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله وأمرهم أن يعبدوه وحده سبحانه .

5- أن يهتدي الإنسان إلى فطرته :

إذا اهتدى الإنسان إلى فطرته النقية فانه يعيش في سلام ووئام مع نفسه ومع فطرة الوجود الكبير من حوله { فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ }(الروم : 30)

6- سلامة النفس :

وذلك من التمزق والصراع الداخلي ، والتوزع والانقسام بين مختلف الغايات ، وشتى الاتجاهات.

---

١) الخصائص العامة للاسلام ص 54 ، وانظر الحلال والحرام للقرضاوي ص 340

لقد اختصر الإسلام غايات الإنسان في غاية واحدة هي إرضاء الله تعالى، وركز همومه في هم واحد هو العمل على ما يرضيه سبحانه.

ولا يريح النفس الإنسانية شيء كما يريحها وحدة غايتها، ووجهتها في الحياة، فتعرف من أين تبدأ ، وإلى أين تسير، ومع من تسير.

ولا يشقي الإنسان شيء مثل تناقض غاياته، وتباين اتجاهاته، وتضارب نزعاته، فهو حينا يشرق، وحينا يغرب، وتارة يتجه إلى اليمين، وطورا يتجه إلى اليسار، ومرة يرضى زيدا فيغضب عمرو، وأخرى يرضي عمرا فيغضب زيد، وهو في كلا الحالين حائر بين رضي هذا وغضب ذاك.

7- التحرر من العبودية للأنانية والشهوات:

ومن ثمرات هذه الربانية: أنها ـــ حين تستقر في أعماق النفس ـــ تحرر الإنسان من العبودية لأنانيته ، وشهوات نفسه ، ولذات حسه ، ومن الخضوع والاستسلام لمطالبه المادية ، ورغباته الشخصية.

وذلك أن الإنسان " الرباني " يقفه إيمانه بالله وباليوم الآخر موقف الموازنة بين رغبات نفسه ، ومتطلبات دينه، بين ما تدفعه إليه شهواته ، وما يأمره به ربه ، بين ما يمليه عليه الواجب ، بين متعة اليوم ، وحساب الغد ، أو بين لذة عاجلة في دنياه ، وحساب عسير ينتظره في أخراه.

وهذه الموازنة والمساءلة جديرة أن تخلع عنه نير العبودية للهوى والشهوات ، وأن ترتفع به إلى أفق أعلى من الأنانية والبهيمية ، أفق الإنسانية المتحررة التي تتصرف بوعيها وإرادتها ، لا بوحي بطنها وفرجها وغريزتها الحيوانية.[1]

---

[1]) انظر : الخصائص العامة للاسلام سوسف القرضاوي الفصل الاول مؤسسة الرسالة ط9/1416هـ 1996م ، مدخل لمعرفة الاسلام ط1/1422هـ 2001 م ص 132

ثانيا : التطور والثبات

بما أن " الإسلام رباني " صادر من الله ، وظيفة الكينونة الإنسانية فيه هي التلقي والاستجابة والتكيف والتطبيق في واقع الحياة . وبما أنه ليس نتاج فكر بشري ، ولا بيئة معينة ، ولا فترة من الزمن خاصة ، ولا عوامل أرضية على وجه العموم .. إنما هو ذلك الهدى الموهوب للإنسان هبة لدنية خالصة من خالق الإنسان ، رحمة بالإنسان..

بما أنه كذلك. فمن الخاصية فيه تنشأ خاصية أخرى.. خاصية: "الحركة داخل إطار ثابت حول محور ثابت".

هناك "ثبات" في "مقومات" هذا التصور الأساسية ، و "قيمه" الذاتية . فهي لا تتغير ولا تتطور، حينما تتغير "ظواهر" الحياة الواقعية، و "أشكال" الأوضاع العملية .. فهذا التغير في ظواهر الحياة وأشكال الأوضاع، يظل محكوماً بالمقومات والقيم الثابتة لهذا التصور..

وهذا يعني ان هناك حقائق ثابتة ، وهناك أمور متغيرة وتطوره ، إلا أنها في ذات الوقت تستند إلى تلك الحقائق الثابتة وتستمد منها

"مادة" هذا الكون – سواء كانت هي الذرة أو الإشعاع البسيط المنطلق عند تحطيمها، أو أية صورة أخرى – ثابتة الماهية. ولكنها تتحركن فتتخذ أشكالاً دائمة التغير والتحور والتطور.

والذرة ذات نواة ثابتة تدور حولها الإلكترونات في مدار ثابت.

وكل كوكب وكل نجم له مداره، يتحرك فيه حول محوره، حركة منتظمة، محكومة بنظام خاص.

و "إنسانية" هذا الإنسان، المستمدة من كونه مخلوقاً فيه نفخة من روح الله اكتسب بها إنسانيته المتميزة عن سائر طبائع المخلوقات حوله.. إنسانية هذا الإنسان ثابتة

ولكن هذا "الإنسان" يمر بأطوار جنينية شتى من النطفة إلى الشيخوخة! ويمر بأطوار اجتماعية شتى، يرتقي فيها وينحط حسب اقترابه وابتعاده من مصدر إنسانيته. ولكن هذه الأطوار وتلك لا تخرجه من حقيقة "إنسانيته" الثابتة. ونوازعها وطاقاتها واستعداداتها المنبثقة من حقيقة إنسانيته.

إن كل ما يتعلق بالحقيقة الإلهية – وهي قاعدة التصور الإسلامي- ثابت الحقيقة، وثابت المفهوم أيضاً. وغير قابل للتغيير ولا للتطوير:

حقيقة وجود الله، وسرمديته، ووحدانيته –بكل إشعاعاتها- وقدرته، وهيمنته، وتدبيره لأمر الخلق، وطلاقة مشيئته .. إلى آخر صفات الله الفاعلة في الكون والحياة والناس..

وحقيقة أن الكون كله –أشياءه وأحياءه- من خلق الله وإبداعه. أراده الله –سبحانه- فكان. وليس لشيء ولا لحي في هذا الكون، أثارة من أمر الخلق في هذا الكون، ولا التدبير ولا الهيمنة. ولا مشاركة في شيء من خصائص الألوهية بحال..

وحقيقة العبودية لله .. عبودية الأشياء والأحياء .. وعموم هذه العبودية للناس جميعاً. بما فيهم الرسل –عليهم الصلاة والسلام- عبودية مطلقة، لا تتلبس بها أثارة من خصائص الألوهية. مع تساويهم في هذه العبودية..

وحقيقة أن الإيمان بالله – بصفته التي وصف بها نفسه – وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره.. شرط لصحة الأعمال وقبولها. وإلا فهي باطلة من الأساس، غير قابلة للتصحيح، ومردودة غير محتسبة وغير مقبولة ..

وحقيقة أن الله لا يقبل من الناس ديناً سواه. وأن الإسلام معناه إفراد الله –سبحانه- بالألوهية وكل خصائصها. والاستسلام لمشيئته، والرضى بالتحاكم إلى أمره ومنهجه وشريعته. وأن هذا هو دينه الذي ارتضاه. لا أي دين سواه.

وحقيقة أن "الإنسان" – بجنسه- مخلوق مكرم على سائر الخلائق في الأرض مستخلف من الله فيها. مسخر له كل ما فيها. ومن ثم فليست هناك قيمة مادية في هذه الأرض تعلو قيمة هذا الإنسان، أو تهدر نم أجلها قيمته..

وحقيقة أن الناس من أصل واحد. ومن ثم فهم –من هذه الناحية- متساوون. وأن القيمة الوحيدة التي يتفاضلون بها – فيما بينهم- هي التقوى والعمل الصالح. لا أية قيمة أخرى، من نسب، أو مال، أو مركز، أو طبقة، أو جنس .. إلى آخر القيم الأرضية.

وحقيقة أن غاية الوجود الإنساني هي العبادة لله .. بمعنى العبودية المطلقة لله وحده. بكل مقتضيات العبودية، وأولها الائتمار بأمره –وحده- في كل أمور الحياة صغيرها وكبيرا

والتوجه إليه —وحده- بكل نية وكل حركة، وكل خالجة وكل عمل. والخلافة في الأرض وفق منهجه- أو بتعبير القرآن وفق دينه — إذ هما تعبيران مترادفان عن حقيقة واحدة..

وحقيقة أن رابطة التجمع الإنساني هي العقيدة، وهي هذا المنهج الإلهي .. لا الجنس، ولا القوم، ولا الأرض، ولا اللون، ولا الطبقة، ولا المصالح الاقتصادية أو السياسية، ولا أي اعتبار آخر من الاعتبارات الأرضية ..

وحقيقة أن الدنيا دار ابتلاء وعمل. وأن الآخرة دار حساب وجزاء. وأن الإنسان مبتلى وممتحن في كل حركة، وفي كل عملن وفي كل خير يناله أو شر، وفي كل نعمة وفي كل ضر .. وأن مرد الأمور كلها إلى الله..

... هذه وأمثالها من المقومات والقيم كلها ثابتة، غير قابلة للتغير ولا للتطور .. ثابتة لتحرك ظواهر الحياة وأشكال الأوضاع في إطارها، وتظل مشدودة إليها. ولتراعي مقتضياتها في كل تطور لأوضاع الحياة، وفي كل ارتباط يقوم في المجتمع، وفي كل تنظيم لأحوال الناس أفراداً وجماعات، في جميع الأحوال والأطوار.

وقد تتسع المساحة التي تتجلى فيها مدلولات هذه المقومات والقيم، كلما اتسعت جوانب الحياة الواقعية، وكلما اتسع مجال العلم الإنساني، وكلما تعددت المفاهيم التي تتجلى فيها هذه المقومات والقيم. ولكن أصلها يظل ثابتاً. وتتحرك في إطاره تلك المدلولات والمفاهيم.

حقيقة أن الإنسان مستخلف في هذه الأرض —مثلاً- تتجلى في صور شتى .. تتجلى في صورته وهو يزرع الأرض. لأن أوضاع حياته ومدى تجاربه تجعل الزراعة هي التي تفي في ذلك الطور باحتياجاته الضرورية، وبها تتحقق الخلافة.. وتتجلى كذلك في صورته وهو يفجر الذرة، ويرسل الأقمار الصناعية لتكشف له طبيعة الغلاف الجوي للأرض، أو طبيعة الكواكب والتوابع من حوله .. هذه وتلك — وما بينهما وما بعدهما- صور من صور الخلافة في الأرض، قابلة دائماً للزيادة والاتساع. ولكن حقيقة الخلافة في الأرض ثابتة على كل حال. يقتضي مفهومها الثابت ألا يحال بين الإنسان ومزاولة حقه في الخلافة وفق منهج الله المرسوم.

وألا يعلوا شيء في هذه الأرض على "الإنسان". وألا تهدر قيمته "الإنسانية" لينشئ قمراً صناعياً، أو ليضاعف الإنتاج المادي ! فهو سيد الأقمار الصناعية ، وسيد الإنتاج المادي![1]

[1]) انظر خصائص التصور الاسلامي سيد قطب ص 84-87

ثالثا : الواقعية

ومن خواص التصور الإسلامي الواقعية ، وهو " تصور يتعامل مع الحقائق الموضوعية ، ذات الوجود الحقيقي المستيقن، والأثر الواقعي الإيجابي. لا مع تصورات عقلية مجردة ، ولا مع "مثاليات" لا مقابل لها في عالم الواقع ، أو لا وجود لها في عالم الواقع ..

قال تعالى { وَإِلَـــهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ لاَّ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ * إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلاَفِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنزَلَ اللّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِن مَّاء فَأَحْيَا بِهِ الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاء وَالأَرْضِ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ } (البقرة : 163-164)

وغيرها من الآيات القرآنية التي توضح ان " الحقيقة الإلهية في التصور الإسلامي، حقيقة فاعلة في هذا الوجود، وتلتمس خصائصها وصفاتها في آثارها الواقعية في هذا الوجود. وهذا ما يفصله القرآن الكريم وهو يصف الحقيقة الإلهية للناس، وهو يعرّفهم بربهم تعريفهاً يسيراً عميقاً واضحاً، وهو يستشهد بواقع الكون وواقع الناس ، في منطق فطري واقعي جميل .

يمثل هذه الواقعية يواجه التصور الإسلامي الكون.. فهو يتعامل مع هذا الكون الواقعي الممثل في أجرام وأبعاد. وأشكال وأوضاع، وحركات وآثار وقوى وطاقات. لا مع الكون الذي هو "فكرة" مجردة عن الشكل والقالب. أو الكون الذي هو "إرادة" ممثلة في شكل وقالب. ولا مع الكون الذي هو "هيولي" ومادة أولية غير مشكلة، أو الكون الذي هو "صورة" أو "مثال" في العقل المطلق! أو الكون الذي هو "الطبيعة" الخالقة! التي تطبع الحقائق في العقل البشري! ولا مع الكون الذي هو عدم أو شبيه بالعدم.. إلى آخر هذه الأسماء، التي ليس لها مدلول "واقعي" يتعامل معه "الإنسان".

الكون هو هذا الخلق ذو الوجود الخارجي الذي يدركه الإنسان، ويوجه إليه قلبه وعقله في القرآن. هو هذه السماوات والأرض. هذه النجوم والكواكب.. هذه الكائنات الميتة والحية. والظواهر الكونية هي هذه الحياة وهذا الموت. وهذا الليل وهذا النهار. وهذا النور

وهذا الظلام. وهذا المطر والبرق والرعد.. وهذا الظل وهذا الحرور. وهذه الأحوال والأطوار ذات الوجود الحقيقي، وذات الآثار الحقيقية.[1]

وكذلك نجد الإسلام يتعامل مع هذا الإنسان الواقعي، الممثل في هؤلاء البشر كما هم، بحقيقتهم الموجودة!. مع هذا الإنسان ذي التركيب الخاص، والكينونة الخاصة. الإنسان من لحم ودم وأعصاب. وعقل ونفس وروح، الإنسان ذي النوازع والأشواق، والرغائب والضرورات. الإنسان الذي يأكل الطعام ويمشي في الأسواق. ويحيا ويموت. ويبدأ وينتهي. ويؤثر ويتأثر. ويحب ويكره. ويرجو ويخاف. ويطمع وييأس. ويعلو وينحط. ويؤمن ويكفر. ويهتدي ويضل. ويعمر الأرض أو يفسد فيها ويقتل الحرث والنسل. إلى أخر سمات الإنسان الواقعي، وصفاته المميزة .

إن "الإنسان" —في التصور الإسلامي– هو هذا "الإنسان" الذي نعهده. هذا الإنسان بقوته وضعفه. بنوازعه وأشواقه. بلحمه ودمه وأعصابه، بجسمه وعقله وروحه ... إنه ليس الإنسان كما يريده خيال جامح، أو كما يتمناه حلم سابح مع قضايا ذهنية من قضايا المنطق الشكلي! كما أنه ليس الإنسان الذي يضعه المنطق الوضعي في أسفل سافلين، ويجعله مخلوقاً من مخلوقات هذه "المادة" الصماء! أو من مخلوقات "الاقتصاد"!

إنه الإنسان الذي خلقه الله ليستخلفه في هذه الأرض، فيقوم فيها بالخلافة الحركية الإيجابية، التي تنشئ وتبدع في عالم المادة ما يتم به قدر الله في الأرض والأحياء والناس.

إنه الإنسان "الواقعي" كما أسلفنا. ومن ثم فإن المنهج الذي يرسمه له الإسلام منهج واقعي كذلك. منهج حركي. تنطبق حدوده على حدود طاقات الإنسان، وتكوينه وواقعية لحمه ودمه وأعصابه، وجسمه وعقله وروحه. الممتزجة في ذلك الكيان.[2]

---

[1]) خصائص التصور الاسلامي ص 197

[2]) انظر خصائص التصور الاسلامي سيد قطب ص 201

رابعا : الايجابية

الإيجابية الفاعلة في علاقة الله –سبحانه– بالكون والحياة والإنسان. والإيجابية الفاعلة كذلك من ناحية الإنسان ذاته. في حدود المجال الإنساني ..

إن الإنسان – في الإسلام ـــ يتعامل مع إله موجود. خالق. مريد. مدبر. مهيمن. قادر. فعال لما يريد.. كامل الإيجابية والفاعلية.. إليه يرجع الأمر كله. وإلى إرادته يرجع خلق هذا الكون ابتداء، وكل انبثاقة فيه بعد ذلك، وكل حركة. وكل تغير وكل تطور. ولا يتم في هذا الكون شيء إلا بإرادته وعلمه وتقديره وتدبيره. وهو –سبحانه– مباشر بإرادته وعلمه وتدبيره لكل عبد من عباده، في كل حال من أحواله ولكل حي ولكل شيء وفي هذا الوجود كذلك .[1]

وقد جاءت نصوص كثيرة في كتاب الله تعالى تقرر هذه الخصيصة وتعرض مظاهرها في كل جانب من جوانب الكون وما فيه قال تعالى { فَسُبْحَانَ اللّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ * وَلَهُ الْحَمْدُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَعَشِيّاً وَحِينَ تُظْهِرُونَ * يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَيُحْيِي الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَكَذَلِكَ تُخْرَجُونَ * وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُمْ مِّن تُرَابٍ ثُمَّ إِذَآ أَنتُمْ بَشَرٌ تَنتَشِرُونَ * وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجاً لِّتَسْكُنُوَاْ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ * وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلاَفُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّلْعَالَمِينَ * وَمِنْ آيَاتِهِ مَنَامُكُم بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَابْتِغَآؤُكُمْ مِّن فَضْلِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ * وَمِنْ آيَاتِهِ يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفاً وَطَمَعاً وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَآءِ مَآءً فَيُحْيِي بِهِ الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ * وَمِنْ آيَاتِهِ أَن تَقُومَ السَّمَآءُ وَالأَرْضُ بِأَمْرِهِ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِّنَ الأَرْضِ إِذَآ أَنتُمْ تَخْرُجُونَ * وَلَهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ كُلٌّ لَّهُ قَانِتُونَ * وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ وَلَهُ الْمَثَلُ الأَعْلَى فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ }(الروم : 17-27)

إنها جولة ضخمة هائلة ، لطيفة عميقة ، بعيدة الآماد والأغوار . جولة تطوف بالقلب البشري في الأمسيات والإصباح ، والسماوات والأرض ، والعشي والإظهار ، وتفتح هذا

---

[1]) خصائص التصور الاسلامي ص173

القلب لتدبر الحياة والموت والعمليات الدائبة في النشوء والدثور . وترتد به إلى نشأة الإنسان الأولى ، وإلى ما ركب في فطرته من ميول ونوازع ، وقوى وطاقات ، وما يقوم بين زوجيه من علائق وروابط ، وفق تلك الميول والنوازع وهذه القوى والطاقات . وتوجهه إلى آيات الله في خلق السماوات والأرض واختلاف الألسنة والألوان وفقا لاختلاف البيئة والمكان . وإلى تدبر ما يعتري الكائن البشري من نوم ويقظة وراحة وكد . وإلى ما يعتري الكون من ظواهر البرق والمطر ، وما تثيره في نفوس البشر من خوف وطمع ، وفي بنية الأرض من حياة وازدهار . وتمضي هذه الجولة العجيبة في النهاية بالقلب البشري إلى قيام السماوات والأرض في هذا كله بأمر الله ؛ وإلى توجه من في السماوات والأرض كلهم لله . وتنتهي بالحقيقة التي تتجلى حينئذ واضحة هينة يسيرة : إن الله هو يبدىء ويعيد . والإعادة أهون عليه . { وَلَهُ الْمَثَلُ الأَعْلَى فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ } .[1]

واستقرار هذه الحقيقة في ضمير الإنسان وفي حياته، يتوقف عليه كل شيء في أمر العقيدة. كما أنه هو الذي يمد الحياة البشرية بكافة المشاعر الأخلاقية. بواعثها وموازينها، والسلطان القائم عليها .[2]

إن هذه الإيجابية في علاقة الله —سبحانه– بخلائقه كلها، هي مفرق الطريق بين العقيدة الجدية المؤثرة، والعقيدة الصورية السلبية. وشمول هذه الإيجابية وتوحدها، هو مفرق الطريق كذلك، بين التجمع في الكينونة الإنسانية والنشاط الإنساني، والتمزق في هذه الكينونة ونشاطها الحيوي.

وتصور الإنسان لإلهه، وتعلق صفاته بالحياة الإنسانية، هو الذي يحدد قيمة هذا الإله في نفسه، كما يحدد نوع استجابته لهذا الإله!

وفرق كبير بين الإنسان الذي يتصور أن إلهه لا يحفل به، ولا يحس بوجوده — أو لا يعلم بوجوده أصلاً كما يقول بعض الفلاسفة! — والإنسان الذي يحس ويعلم أن الله هو خالقه ورازقه، ومالك أمره كله في الدنيا والآخرة..

---

[1] في ظلال القرآن 2762/5

[2] خصائص التصور الاسلامي ص 173

واستقرار هذه الحقيقة في ضمير الجماعة المسلمة الأولى هو الذي أنشأ هذه المجموعة الفريدة الممتازة في تاريخ البشرية كله على الإطلاق، وبدون استثناء. فقد عاشوا هذه الحقيقة. عاشوها حية في نفوسهم. عاشوها ليل نهار، وصباح مساء. عاشوها كما يعيشون حياتهم اليومية الواقعة. عاشوا مع الله. يحسون وجوده في نفوسهم وفي حياتهم أعمق من حس اللمس والرؤية. عاشوا في كنفه وفي رعايته. وعاشوا تحت عينه وفي رقابته. والتمسوا يده —سبحانه– تتدخل تدخلاً مباشراً في الصغير والكبير من أمورهم، وتنقّل خطاهم، وترقبها، وترشدهم، وتعقّب عليهم في الصغيرة وفي الكبيرة.. ومن ثم كانوا هذا الذي كانوا: من الحساسية والطمأنينة معاً. ومن اليقظة والراحة معاً. ومن التوكل والفاعلية معاً. ومن الخوف والطمع معاً. ومن التواضع والعزة معاً —التواضع لله والعزة بالله– ومن الخضوع والاستعلاء معاً — الخضوع لله والاستعلاء على أعداء الله — ومن ثم صنع الله بهم في هذه الأرض ما صنع من الصلاح والعمار، ومن الرفعة والطهارة، مما لم يسبق و لم يلحق في تاريخ بني الإنسان[1] ...

وهكذا كان رسول الله ﷺ تجاه أصحابه رضي الله عنهم وهكذا كان صحابته رضي الله عنهم امتثلوا أوامر الله تعالى ، واجتنبوا نواهيه ، واقتدوا برسولهم الكريم ، وهذا ما ينبغي عليه الإنسان المسلم في جميع أحواله ، وفي كل الأزمنة والأمكنة ، أن يكون ايجابيا مع نفسه ، وذلك بحملها على فعل الخير ، وبتزكيتها بطاعة الله تعالى وتطهيرها من الأخلاق الذميمة قال تعالى { وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا * فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا * قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا * وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا } (الشمس : 7–10)

وان يكون ايجابيا مع أهله وأسرته قال تعالى { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ } (التحريم : 6)

فقوله تعالى { قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا } أي اعملوا بطاعة الله تعالى واتقوا معاصيه وأمروا أهاليكم كذلك ، وأمروهم بطاعة الله وانهوهم عن معصيته ، فحق على كل مسلم أن يعلم أهله من قرابته ما فرضه الله عليهم وما نهاهم عنه.[2]

---

١) المرجع السابق ص182

٢) مختصر تفسير بن كثير دار القرآن الكريم ط1981/7م 522/3

وان يكون ايجابيا مع أسرته فعلى الزوجين أن يكونا ايجابيين مع بعضهما لتحقيق مصالح الأسرة ، وذلك بقيام كل واحد منهما ما يجب عليه تجاه الآخر وكذلك تجاه أولادهما وأقاربهما ، وان يكون ايجابيا مع غيره من المسلمين وغير المسلمين وذلك بالتعاون الخير والبعد عن الآثام.

وان يكون ايجابيا مع الطير والحيوان ففي كل كبد رطبة صدقة ولقد دخل رجل الجنة لأنه سقى كلبا كان يلهث من شدة العطش .[1]

هذا هو الإسلام الذي يشعر المسلم ان " وجوده على الأرض ليس فلتة عابرة، إنما هو قدر مقدور، مرسوم له طريقه ووجهته وغاية وجوده ... وأن وجوده على الأرض يقتضيه حركة وعملاً إيجابياً، في ذات نفسه. وفي الآخرين من حوله. وفي هذه الأرض التي هو مستخلف فيها، وفي هذا الكون المحسوب حسابه في تصميمه ... وأنه لا يبلغ شكر نعمة الله عليه بالوجود، ونعمة الله عليه بالإيمان، ولا يطمع في النجاة من حساب الله وعذابه، إلا بأن يؤدي دوره الإيجابي في خلافة الأرض، وفق شرط الله ومنهجه، وتطبيق هذا المنهج في حياته وفي حياة غيره، والجهاد لدفع الفساد عن هذه الأرض التي هو قيم عليها والفساد في الأرض إنما ينشأ عن عدم تطبيق منهج الله في عالم الواقع، ودنيا الناس، حياة الجماعات – وأن وزر هذا الفساد –حين يقع- واقع على عاتقه هو، ما لم يؤد الشهادة لله في نفسهن وفي غيره، وفي الأرض كلها من حوله .

وتصوّر المسلم للأمر على هذا النحو، لا جرم يرفع من قيمته في نظر نفسه، كما يرفع من اهتماماته. بقدر ما يشعره بضخامة التبعة الملقاة على عاتقه، وبثقل العبء الذي يحمله، ويكدح فيه حتى يلاقي الله ربه، وقد أدى الأمانة، وأدى الشهادة، ووفى بحق النعمة – فيما يملك من الطاقة- وطمع في النجاة من عذاب الله، وزحزح عن النار... [2]

---

١) الثقافة الاسلامية ثقافة المسلم وتحديات العصر محمد ابو يحيى واخرون دارالمنهاج ط4/1423هـ 2003م ص 133

٢) خصائص التصور الاسلامي ومقوماته ص 189

خامسا : الشمول

إن هذه العقيدة تشمل الإنسان كله ، جسمه وعقله وروحه ، كما تشمل سلوكه وفكره ومشاعره ، كما تشمل دنياه وآخرته .

ليس في كيان الإنسان ولا في حياته شيء لا يتصل بهذه العقيدة ولا تتصل العقيدة به . إنها تصاحبه في كل لحظة من لحظات حياته ، وفى كل عمل يعمله ، أو فكر يفكره، أو شعور يختلج في ضميره

ويتضح لنا الشمول في مجالات متعددة، وعلى محاور مختلفة، تلتقي كلها في النهاية :

١ - ففي مجال الاعتقاد تشمل الإيمان بالله واليوم الآخر والملائكة والنبيين والكتب السماوية والقدر خيره وشره .

٢ - وفى مجال العمل تشمل العمل للدنيا والعمل للآخرة في ذات الوقت .

٣ - وفى مجال الكائن البشرى تشمل حركة جسمه وتفكر عقله وانطلاقة روحه .

٤ - وفى مجال المجموع البشرى تشمل الفرد والجماعة والأمة والدولة في ذات الوقت.

٥ - وفى مجال العلاقات تشمل علاقة الإنسان بربه وعلاقته بنفسه وعلاقته بغيره (في داخل الأسرة وفى داخل المجتمع وفيما بين المسلمين وغير المسلمين، وفيما بين الإنسان والكون كذلك!) ،

ولن توجد دائرة أوسع من هذه ولا أشمل. لأن هذه تشمل كل شيء في الوجود ![1]

إن التصور الإسلامي – عن طريق هذه الخاصية ـــ يمنح القلب والعقل راحة وطمأنينة، واتصالاً بحقيقة المؤثرات الفاعلة في هذا الوجود – كما هي في عالم الحقيقة والواقع – ويعفى الفكر البشري من الضرب في التيه بلا دليل، ومن الإحالة على أسباب غير مضبوطة – وأحياناً غير موجودة- كالإحالة على "الطبيعة"! أو الإحالة على "العقل"! أو الإحالة على كائنات أسطورية كالتي تصورها الوثنيات، وتلبست بها الفلسفات، على مدار التاريخ.

---

[1] ركائز الايمان محمد قطب دار اشبيليا ص 43

وذلك كله فضلاً على العنصر الأخلاقي الذي ينشئه هذا التصور ويثبته، في القلب البشري وفي الحياة البشرية. وهو يرد خيوط الكون والحياة كلها إلى يد الله، ورقابته، وهيمنته، وسلطانه .
(١)

١) خصائص التصور الاسلامي ومقوماته سيد قطب ص113

سادسا : التكامل (أو الترابط) :

إن هذه العقيدة لا تتسم بالشمول الذي ذكرنا مجالاته ومحاوره المختلفة فحسب، بل بالتكامل والترابط كذلك. وهذه مستقلة عن الشمول، وإن كانت وثيقة الصلة به .

١ - في مجال الاعتقاد :

تشمل العقيدة الإسلامية : الإيمان بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين والقدر خيره وشره . وكل ركن من هذه الأركان ذو صلة وثيقة بسائرها ، بحيث تكون فى النهاية كلاً متكاملاً ، يؤثر بمجموعه المترابط فى حياة الإنسان .

وإن شئت الدقة فقل إن سائر أركان العقيدة الإسلامية مرتبط بركنها الأول وهو الأكبر وهو الإيمان بالله .

فالإيمان بالله هو الأساس وهو لب العقيدة وصلبها، ثم تأتى بقية الأركان فتتصل به فتتكامل .

2- وفى مجال العمل :

إن العقيدة تشمل العمل للدنيا والعمل للآخرة في ذات الوقت، وهنا نقول: إن من خصائص هذه العقيدة أنها لا تفصل بين العمل للدنيا والعمل للآخرة.

فليس هناك في الإسلام عمل هو للدنيا وحدها، وعمل هو للآخرة وحدها! إنما الأعمال كلها للدنيا والآخرة في وقت واحد .

العبادات التي يظن أنها للآخرة وحدها، كلها ذات مقتضى متصل بالحياة الدنيا : { إِنّ الصّلاَةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ }(العنكبوت:45) .

{ يَا أَيُّهَا الّذِينَ آمَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلّكُمْ تَتّقُونَ }(البقرة:183)

أي هنا في الحياة الدنيا ، وهكذا في سائر العبادات هي للآخرة وفى ذات الوقت لها غاية تتحقق هنا في الأرض .

والأعمال التي يظن أنها للدنيا وحدها من جانب آخر كالطعام والشراب والم ل بس والمسكن والجنس وعمارة الأرض .. إلخ كلها تعمل في الدنيا ولكن يشترط فيها شروط تربطها بالآخرة. يشترط فيها التزام الحلال والحرام والالتزام بأمر الله من أجل الثواب أو العقاب الذي يترتب على ذلك في الآخرة. وكلها في نظر الإسلام ((عبادة)) متى ما روعي فيها الالتزام بأمر الله، وتوجه بها الإنسان إلى الله. بل هي ((العبادة)) التي تشير إليها الآية: { وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ }(الذاريات:56) .

والآيتان الآخريان: { قُلْ إِنَّ صَلاَتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * لاَ شَرِيكَ لَهُ } (الأنعام:162،163) . وبذلك تتصل الدنيا والآخرة وتترابط في عقيدة الإسلام .

3- وفى مجال الكائن البشرى :

قلنا : إنها تشمل حركة جسمه وتفكر عقله وانطلاقة روحه. ولكن هذه ليست مستقلة بعضها عن بعض. صحيح أن هناك ساعة تغلب فيها حركة الجسم كالطعام والشراب والجنس وساعة يغلب فيها تفكر العقل كساعات التأمل أو ساعات التفكير في شأن من شئون العلم أو العمل، وساعة تغلب فيها انطلاقة الروح كساعة التعبد .

ولكن الإسلام لا يدع واحدة من هذه تنفصل انفصالاً كاملاً بحيث تنقطع صلتها عن الباقيات .

في الطعام والشراب والجنس.. إلخ، يتحرى الإنسان الحرام والحلال ويذكر اسم الله. فلا تعود حركة جسد مستقلة!

وفى التفكر كذلك يتوقى الإنسان التفكير الشرير ويتحرى التفكير الخير، ويتقى الله. فلا يعود تفكيراً عقلياً خالصاً!

وفى العبادة الإسلامية يتحرك الجسد ويعمل العقل مع انطلاقة الروح. وخذ الصلاة مثلاً، إنها ليست انطلاقة روح مستقلة، إنما يشارك فيها الجسم بالقيام والقعود والركوع والسجود، ويشارك فيها الفكر بالتدبر في آيات الله ، وبذلك يترابط الكائن البشرى كله في أداء متطلبات هذه العقيدة فلا ينفصل جسمه عن عقله أو عن روحه!

4- وفى مجال المجموع البشرى :

قلنا : إنها تشمل الفرد والجماعة والأمة والدولة.. ونقول هنا : إن هذه العقيدة لا تأخذ أياً من هذه بمعزل عن الأخرى . فهي لا تنشئ الفرد الصالح بمعايير، والجماعة الصالحة بمعايير أخرى. إنما هي ذات المعايير وإن اختلفت التكاليف بين الفرد والجماعة .

المعايير هي الإيمان بالله وتقوى الله والالتزام بما أنزل الله. ثم تكون بعد ذلك تكاليف يقوم بها الفرد بمفرده وتكاليف أخرى تقوم بها الجماعة مجتمعة. ولكن يلتقي الفرد والمجموع معاً على أسس واحدةً وتربية ذات اتجاه موحد. ومن ثم لا تفترق الأمة – حين تلتقي – إلى طوائف وشيع متنافرة كل منها يعمل في اتجاه، ولا إلى فرد متخاصم مع المجموع. ولا تتحول كما يحدث في الجاهليتين المعاصرتين في الغرب والشرق إلى فرد طاغ ومجموع مفكك، أو مجموع طاغ وفرد مسحوق!

وكذلك تلتقي الأمة والدولة على أمر واحد، هو عبادة الله والحكم بما أنزل الله، وهو أمر من صلب الاعتقاد ، لقوله تعالى: { وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنزَلَ اللّهُ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ } (المائدة : 44).

وعلى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، وهو مقتضى الإيمان بالله لقوله تعالى : { كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللّهِ } (آل عمران : 110).

فيحدث الترابط بينهما والاتفاق .

5- وفى مجال العلاقات :

قلنا : إنها تشمل علاقة الإنسان بربه وعلاقته بنفسه وعلاقته بالآخرين. وهنا نقول : إن هذه كلها تترابط وتلتقي عن طريق المحور المشترك فيها جميعاً وهو الإيمان بالله وعبادته. فعلاقة الإنسان بربه هي الإيمان والعبادة، وعلاقته بنفسه هي تزكيتها، والتزكية تتم عن طريق الإيمان والعبادة، وعن طريق الالتزام بأوامر الله وهو مقتضى الإيمان والعبادة. وعلاقته (أو علاقاته) بغيره تتم كلها عن طريق تنفيذ أوامر الله والتحاكم إلى ما أنزل الله .

وبذلك تنتظم العلاقات كلها في سلك واحد قوامه الإيمان بالله .

وهكذا يبدو الترابط والتكامل بين أركان هذه العقيدة على جميع المحاور وفى جميع الحالات[1]

[1]) ركائز الايمان محمد قطب دار اشبيليا ص436-441

سابعا : التوازن

مع شمول هذه العقيدة وترابطها فهي تتسم أيضاً بالتوازن .

ويبدو هذا التوازن كذلك على مجموعة من المحاور المختلفة ومجموعة من المجالات :

١ - توازن بين الروح والجسد أو عالم المعنويات وعالم الحس .

٢ - توازن بين عالم الغيب وعالم الشهادة .

٣ - توازن بين الإيمان بالقدر والأخذ بالأسباب .

٤ - توازن بين جوانب الحياة المختلفة: السياسية والاقتصادية والاجتماعية..إلخ.

ولنقل كلمة سريعة عن كل مجال من هذه المجالات :

١. الإنسان قبضة من طين الأرض ونفخة من روح الله. وهناك توازن دقيق بين عنصريه المكونين له، يختل إذا أعطينا أحدهما من العناية والالتفات أكثر من حقه. " أما واللهِ إني لأخشاكم للهِ وأتقاكم له ، لكني أصومُ وأُفطِرُ ، وأُصلِّي وأرقُدُ ، وأتزوَّجُ النساءَ ، فمَن رغِب عن سُنَّتي فليس مني " [1]

٢. يتطلب الإسلام الإيمان بالغيب، لأنه عن طريقه يؤمن بالله واليوم الآخر، ولكنه لا يطلب منه أن يهمل عالم الشهود. بل إنه في عرضه لحقائق العقيدة بكثير من الإشارة إلى آيات الله في الكون لكي يتدبرها الإنسان ويصل عن طريق تدبرها إلى الإيمان بالله ، ومن هنا لا يلجأ الإسلام إلى الغيبوبة الروحية التي يقع فيها بعض المتطرفين في العبادة زعماً منهم أنهم يستغنون بشهود الذات الإلهية عن شهود الكون الذي خلقه الله، وكذلك لا يقبل أن ينشغل الإنسان بالكون المشهود عن عالم الغيب فيقطع صلته بالله واليوم الآخر .

٣. إن الإسلام لا يفصل بين الدنيا والآخرة ، قال تعالى {وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا}(القصص: 77)0 وحين ترتبط الدنيا والآخرة في حس الإنسان

---

[1]) البخاري (5063) مسلم (1401)

يعمل للآخرة وهو يعمل للدنيا في ذات الوقت. فلا يهمل العبادة ولا يهمل عمارة الأرض .

٤. إن المتواكلين يزعمون أنهم يتوكلون على الله ثم يهملون الأخذ بالأسباب. إن المتواكلين يزعمون أنهم يتوكلون على الله ثم يهملون الأخذ بالأسباب جملة فيصيبهم ما يصيبهم من فقر ومرض وجهل وعجز وهوان في الأرض. وإن الجاهلية الأوربية من جانب آخر تأخذ بالأسباب منقطعة عن الله وقدره، فتنتج إنتاجاً مادياً ضخماً ما يصيبها من قلق واضطراب وأمراض عصبية ونفسية وجنون وانتحار وضياع لأنها تفقد الطمأنينة التي يجدها المؤمن لذكر الله ولقدر الله .

٥. والإسلام يوازن موازنة جميلة بين هذين الحدين المتطرفين، فهو يعلم الناس أن هناك سننا ربانية يدير الله بها الكون المادي والحياة البشرية. وأنه لابد من إتباع هذه السنن ومجاراتها إذا رغبنا في الوصول إلى نتائج معينة، ومقتضى ذلك هو الأخذ بالأسباب. ولكنه في الوقت ذاته يربى المؤمن على ألا يتكل على الأسباب الظاهرة فيحبط عمله، إنما يظل قلبه موصولا بالله، متطلعا إليه أن ينجح مسعاه ويوصله إلى النتائج المرغوبة. وبذلك يتوازن الإنسان في سعيه في الأرض لا يهمل الأسباب ويتواكل، ولا يكف عن التطلع إلى قدر الله .

٦. إن هذه العقيدة توازن بين جوانب الحياة الإنسانية المختلفة فلا يطغى منها جانب على جانب. فكما أن الجانب الروحي لا يطغى على الجانب المادي، فكذلك لا يطغى الجانب السياسي على الاقتصادي ، ولا الاقتصادى على الخلقي وهكذا . بل تتوازن جوانب الحياة كلها على محور العقيدة الرئيسي الذي مقتضاه الإيمان بالله والالتزام بما أنزل الله، فتسير كلها متوازية متوازنة في آن واحد . [1]

---

[1]) ركائز الايمان محمد قطب دار اشبيليا ص 441-443

إن الإسلام قوي .. " وعنصر القوة كامن في طبيعته. كامن في بساطته ووضوحه وشموله، وملاءمته للفطرة البشرية، وتلبيته لحاجاتها الحقيقية .. كامن في الاستعلاء عن العبودية للعباد بالعبودية لله رب العباد؛ وفي رفض التلقي إلا منه، ورفض الخضوع إلا له من دون العالمين .. كامن كذلك في الاستعلاء بأهله على الملابسات العارضة كالوقوع تحت سلطان المتسلطين. فهذا السلطان يظل خارج نطاق الضمير مهما اشتدت وطأته .. ومن ثم لا تقع الهزيمة الروحية طالما عمر الإسلام القلب والضمير، وإن وقعت الهزيمة الظاهرية في بعض الأحايين.

ومن أجل هذه الخصائص في الإسلام يحاربه أعداؤه هذه الحرب المنكرة، لأنه يقف لهم في الطريق، يعوقهم عن أهدافهم الاستعمارية الاستغلالية، كما يعوقهم عن الطغيان والتأله في الأرض كما يريدون!

ومن أجل هذه الخصائص يطلقون عليه حملات القمع والإبادة ، كما يطلقون عليه حملات التشويه والخداع والتضليل!

ومن أجل هذا يريدون أن يستبدلوا به قيماً أخرى، وتصورات أخرى، لا تمت بسبب إلى هذا المناضل العنيد؛ لتستريح الصهيونية العالمية، والصليبية العالمية، والاستعمار العالمي من هذا المناضل العنيد!

إن خصائص الإسلام الذاتية هي التي تحنق عليه أعداءه الطامعين في أسلاب الوطن الإسلامي .. هذه هي حقيقة المعركة؛ وهذا هو دافعها الأصيل..[1]

---

[1]) المستقبل لهذا الدين سيد قطب ص 75 دارالشروق

أثر عقيدة الإسلام في الحياة الإنسانية

في إمكاننا أن نحكم على أثر هذه العقيدة في الحياة الإنسانية من الواقع التاريخي للأمة الإسلامية التي اعتنقها وعاشت بها في دنيا الواقع. فإن من فضل الله على هذه الرسالة التي ارتضاها الله للمسلمين ديناً أن منحها واقعاً تاريخياً ضخماً بقت فيه في واقع الحياة، فلم تعد مجرد شعارات، ولا مثلاً خيالية، بل واقعاً مشهوداً يحفظه التاريخ .

ويكفي من آثارها أن تكون قد أخرجت " خير أمة أخرجت للناس " في التاريخ البشرى كله، لأنها طبقت القرآن في واقع حياتها، وأصبحت ترجماناً له بالقدر الذي يتيسر للبشر أن يبلغوه في حدود بشريتهم .

لذلك يكفينا أن ندرس الواقع التاريخي لهذه الأمة خاصة في أجيالها الأولى، وجيلها الأول على وجه أخص، لنتعرف على أثر العقيدة الإسلامية في الحياة الإنسانية في صورة واقعية .

إن أبرز ما في هذه العقيدة هو التوحيد: ويتضح لنا من دراسة الواقع التاريخي أن التوحيد ذو أثر ضخم في حياة الإنسان حينما يعيشه واقعاً فكرياً وشعورياً وسلوكياً .

وأن الإنسان يستطيع حينما يتشبع بالتوحيد على هذه الصورة أن يبذل من الجهد وأن يأتي من الأعمال ما لا يستطيعه الإنسان العادي الخاوي من العقيدة .

لو تصورنا جهازاً ما أخذ شحنته الكهربية المضبوطة من مصدر صاف لا خل فيه ولا اضطراب، فقام بمهمته على الوجه الأكمل.. إن هذه أقرب صورة للإنسان المؤمن بعقيدة التوحيد الصافية إيماناً صحيحاً. إنه يأخذ ((شحنته)) الكاملة من العقيدة، فيعمل بطاقته الكاملة ويؤدى مهمته على الوجه الأكمل، لأنه { في أحسن تقويم } .

ولنحاول هنا أن نلخص أبرز آثار العقيدة في حياة الأمة المسلمة في نقاط محدودة، ثم نعرج على بعض آثارها في بقية البشرية ممن لم يعتنقوا هذا الدين .

١ - عمق الشعور بتقوى الله وخشيته، والخوف من حسابه يوم القيامة، وما ترتب على ذلك من انضباط السلوك وحساسية الضمير تجاه مسئولية الإنسان عن أعماله ،

ولنأخذ نموذجاً لذلك موقف عمر رضي الله عنه من الدريهمات التي كان يتقاضاها

من بيت المال ، وقولته الشهيرة : " لو عثرت بغلة بصنعاء لكنت مسئولاً عنها لم لم أسو لها الطريق " !

٢ - صدق الجهاد في سبيل الله بالأنفس والأموال، وما ترتب على ذلك من التمكين لهذا الدين في الأرض، والعجائب التي تكررت في الفتوح الإسلامية من انتصار الفئة القليلة على أضعاف في العدد والعدة .

٣ - تقرير مبدأ الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر وما يترتب عليه من منع انتشار الفساد في الأرض .

٤ - تقرير مبدأ التكافل الاجتماعي في الأمة، وما يترتب عليه من تماسك هذه الأمة وتعاونها على الخير وخلوها من الضغائن والأحقاد التي تفتت الأمم وتذهب ريحها، وانتشار روح البر في المجتمع الإسلامي مما تبدى في الأوقاف (الأحباس) الكثيرة التي وقفها المسلمون لأعمال البر .

٥ - الوفاء بالمواثيق وهى خصيصة نادرة في التاريخ البشرى لم تتوفر لأحد كما توفرت للأمة الإسلامية .

٦ - تطبيق العدل الرباني في واقع الأرض مما لا مثيل له في تاريخ الشعوب وخاصة بين المسلمين وغير المسلمين، وبين الفاتحين والبلاد المفتوحة .

٧ - التسامح الديني مع الطوائف غير المسلمة في ظل الحكم الإسلامي .

٨ - المحافظة على الأخلاق في المجتمع الإسلامي حتى حين انحرف المسلمون درجات من الانحراف، فقد ظلت نسبة الفاحشة فيهم أقل ما عرفته البشرية في أي شعب من شعوبها، وكذلك الخمر. وظلت التقاليد الإسلامية والمحافظة على الأعراض سارية في المجتمع إلى عهد جد قريب .

٩ - النشاط الحركي الفذ الذي نشر الدعوة في أرجاء واسعة من الأرض في زمن شديد القصر، ونشر معها اللسان العربي .

١٠ - الحركة العلمية الضخمة التي قام بها المسلمون بتوجيهات القرآن وتوجيهات الرسول ﷺ ، وأبرز ما فيها تحويل العلم من نظريات إلى منهج تجريبي قائم على المشاهدة

والملاحظة والتجربة. وتحويله من النظرة الذاتية التي كانت تمثلها الفلسفة إلى النظرية الموضوعية .

١١ - الحركة الحضارية الإسلامية التي امتدت في جميع نواحي الحياة، وأبرز ما فيها أنها حضارة روحية مادية في ذات الوقت لا تفصل بين مطالب الروح ومطالب الجسد، ولا تفصل بين الدنيا والآخرة .

١٢ - تحقيق معنى ((الأمة)) في واقع الأرض، لأمة التي تلتقي على العقيدة في الله قبل أن تلتقي على الأرض واللغة والجنس والمصالح والتي جعلت المسلم ينتقل في بلاد العالم الإسلامي من المحيط إلى المحيط فلا يحس بالغربة في أي بلد من بلاد المسلمين رغم اختلاف الحكومات وتطاحنها في كثير من الأحيان!

تلك هي أبرز الآثار الواقعية التي نشأت عن هذه العقيدة داخل المجتمع الإسلامي ، وكلها نابع من تلك الانطلاقة الضخمة التي أطلقها المسلمون بعد أن تشبعوا بالعقيدة وتوجيهاتها وتطبيقاتها السلوكية العملية. ونستطيع أن نستخلص منها أن هذه العقيدة تنشىء ((الإنسان الصالح)) وهو الإنسان العباد لله بالمعنى الواسع للعبادة، الذي يشمل – إلى جانب شعائر التعبد – كل عمل وكل فكر وكل شعور يراعى فيه وجه الله ويلتزم فيه بأمر الله: { قُلْ إِنَّ صَلاَتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * لاَ شَرِيكَ لَهُ } (الأنعام: 162، 163)

الإنسان المستعلي على شهوات الأرض. المتحرر بعبوديته الحقة لله من كل عبودية لأحد أو لشيء سواه، المتوازن في سلوكه وفى فكره وفى شعوره الذي يعمر الأرض بجهده وهو يتطلع إلى رضوان الله .

أما آثار تلك العقيدة في حياة البشر عامة، ممن لم يعتنقوا الإسلام، بل ممن حاربوه حرباً شعواء في الحروب الصليبية وغيرها، فيمكن تتبع بعضها فيما تعلمته أوربا من الإسلام والمسلمين .

فإن أوربا – في عصورها الوسطى المظلمة – كانت واقعة في الجهالة العلمية التي حرص عليها حكام شعوبها كما حرصت عليها الكنيسة ليظل سلطانها الرهيب قائماً في قلوب الناس وأرواحهم، وكانت واقعة تحت وطأة الإقطاع، ممزقة لا رباط بينها – وإن كانت كلها مسيحية – لأن السيد الإقطاعي يمثل في إقطاعيته السلطان المطلق، فهو السلطة التشريعية

والسلطة القضائية والسلطة التنفيذية في وقت واحد. وواقعة من جهة أخرى تحت سطوة البابوية التي تستعبد أرواح الناس وأفكارهم وتأكل جهدهم كما تأكل أموالهم بالباطل : { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ كَثِيرًا مِنَ الأَحْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ } (التوبة : 34) .

وبينما أوربا في حالتها هذه التقت بالإسلام يحيط بها من كل جانب. التقت به سليماً في الأندلس والشمال والإفريقي وصقلية وغيرها، والتقت به حربياً في الحروب الصليبية التي استغرقت حوالي قرنين من الزمان .

ثم كان من نتيجة هذا اللقاء السلمي والحربي تلك الآثار في أوربا :

١ - أخذت أوربا العلوم الإسلامية كلها، وبصفة خاصة المنهج التجريبي في البحث العلمي وأقامت عليه نهضتها العلمية الحاضرة .

٢ - أخذت معنى ((الأمة)) التي يربطها رباط واحد وتحكمها شريعة واحدة ولكنها لم تستطع إقامتها على أساس العقيدة لفساد عندهم وفساد القائمين عليها من الكهنوت، فأقاموها على شكل قوميات، هي الأساس الذي قامت عليه دول الغرب الحالية .

٣ - حاولت إصلاح الفساد العقدي والكنسي في حركات كالفن ومارتن لوثر وغيرهما وإن كانت لم تحقق إلا إصلاحات جزئية في داخل الفساد الشامل، وذلك لأنها رفضت الإسلام ابتداء وهو الطريق الوحيد للإصلاح الحقيقي .

٤ - أخذت نظام الجامعات الإسلامية وأنشأت جامعاتها على غراره .

٥ - قامت فيها حركات فروسية تحاول أن تقلد ما وجدوه عند المسلمين من الشهامة والنجدة والأخلاق العالية .

٦ - بدأت فكرة ((الدساتير)) التي تشمل أسساً واضحة للحكم غير هوى الحكام وشهواتهم الشخصية. واقتبست أوربا كثيراً من الفقه الإسلامي. ومما يذكر في هذا الصدد أن القانون المدني الفرنسي مأخوذ معظمه من فقه مالك لأنه كان أقرب المذاهب إليهم في الشمال الإفريقي .

٧ - تأثرت أوربا بالنظم المعمارية الإسلامية، وقلدتها في بعض مبانيها الدينية وغير الدينية، كما تأثرت بالقيم الحضارية الإسلامية بصفة عامة (خذ مثالاً بسيطاً على ذلك إدخال الحمامات في البيوت وتنظيف الأبدان بالاستحمام. و لم تكن أوربا تمارسه حتى التقت بالمسلمين) .

٨ - استفادت أوربا من الكشوف الجغرافية والخرائط الإسلامية فبدأت تنساح في الأرض على هدى هذه الخرائط .

وباختصار، فإن أوربا قد أخذت بذور نهضتها الحالية كلها من الإسلام، وإن كانت جمدت أثر الإسلام والمسلمين في حياتها، ورفضت في عصبية جاهلية أن تعتنق الإسلام![1]

ونتساءل أخيرا :

ما ينقم الناقمون على الإسلام ؟

هل ينقمون على الإسلام مبدأ التوحيد والإيمان بالله الحق العدل ؟

هل ينقمون على الإسلام قصد الخير والإصلاح والعدل والإيمان ؟

هل ينقمون على الإسلام مبدأ الإخاء والتضامن وقيم الكرامة والتطهر والاستقامة وطلب الهداية والعلم والمعرفة ؟

هل ينقمون على الإسلام وجوب الصدق والأمانة والقسط والإتقان وحسن الأداء وبذل الرحمة والإحسان ؟

هذه هي منطلقات الإسلام وقيم الإسلام ولب الإسلام وما عدا ذلك جهل وخلط وخرافة .. [2]

---

١) ركائز الايمان محمد قطب ط1/1417هـ 1997م ص 444

٢) ازمة العقل المسلم د. عبد الحميد ابو سليمان ص 53

أهداف ووسائل حروبهم

لن تتضح الصورة الفعلية والحقيقية لأهداف ووسائل وأخلاق ورحمة الإسلام في الجهاد إلا إذا عرفنا أهداف ووسائل وأخلاق غير المسلمين في الحرب .

ولقد ذكرنا من قبل " إن كان الهدف جليلا والوسيلة قبيحة اعتبر الفعل قبيحا ..

وإذا كانت الوسيلة مشروعة والهدف ممنوعا ، كان الفعل قبيحا أيضا ..

أما إذا جمع بين شرف الغاية وشرف الوسيلة فانه يحكم على الفعل بالحسن والمشروعية "

" ومن أراد أن يعرف فضل التسامح الإسلامي، ويعرف سماحة المسلمين على بصيرة ، فليقرأ ما فعلته الأديان والعقائد والأخرى مع مخالفيها على مدى التاريخ ؟ فالضدُّ يُظهر حسنَه الضدُّ.

بل ليقرأ ثم يقرأ موقف أصحاب العقائد اللادينية الحديثة، ودعاة "الأيديولوجيات" الانقلابية في القرن العشرين، ليرى ماذا فعلوا بخصومهم؟

وكيف عاملوا ويعاملون مخالفيهم في المذهب والاتجاه؟! بل ماذا صنعوا ويصنعون بزملائهم في الفكرة ، ورفقائهم في الكفاح ، إذا خالفوا عن رأيهم ، أو فكروا غير تفكيرهم؟!

أجل.. ليقرأ بإمعان ماذا سجل التاريخ للمسلمين حينما فتحوا الأندلس ، ثم ماذا سجله لخصومهم الأسبان من النصارى، حينما قُدِّر لهم أن ينتصروا عليهم، بعد ثمانية قرون عَمَّروا فيها بلاد الأندلس بالعلم والنور، وأقاموا فيها حضارة باهى بها التاريخ.

ليقرأ وليدرس كيف يعيش المسلمون في عصرنا هذا ـــ عصر النور والحضارة والأمم المتحدة والمحافل الدولية ، وحقوق الإنسان ـــ في البلاد التي تحكمها حكومات نصرانية متعصبة أو شيوعية ملحدة، أو هندوسية متزمتة؟ " [1]

النصرانية :

إن دعاة العنف الثوري حديثًا يستندون في تبرير عنفهم وقسوتهم ضد مخالفيهم إلى ما حفل به تاريخ الأديان قديمًا من تنكيل واضطهاد وإبادة ضد من لا يدين بها ويركزون خاصة على تاريخ المسيحية ، طوال العصور الوسطى ، ومنذ نشأتها.

---

[1]) غير المسلمين في المجتمع الاسلامي القرضاوي

وقالوا: إن العنف الجماعي المنظم الذي لجأ إليه الشيوعيون والنازيون إنما استوحاه "تروتسكي" و"هتلر" وغيرهما من مدارس مسيحية ، وفي طليعتها مدرسة اليسوعيين، ومحاكم التفتيش، والحركات الألفية.

إن المسيحية التي تدعو إلى المحبة والسلام ، والتي قاست ألوانًا من الاضطهاد والتنكيل إبَّان نشوئها وضعفها، لم تلبث ـــ حين ملكت زمام السلطة وقامت لها دولة ـــ أن أنزلت بالمخالفين لها من ضروب العنف ، وصنوف القسوة والعذاب ما تقشعر لحدوثه الأبدان. [1]

ومما يخفى على كثير من الناس حقيقة مهمة في الحملة التترية على الإسلام والمسلمين أنها جزء من الحملة الصليبية لتدمير الإسلام والمسلمين ..

" إن فكرة تكوين حلف من الأوربيين والتتار لتدمير البلاد الإسلامية كانت موضع تفكير البابوات في عصور متتالية ، وكانت سياسة هؤلاء تهدف إلى نشر الدين المسيحي بين التتار ، وقد تبادل التتار وحكام غرب أوربا البعوث وعلى سبيل المثال فقد دعا لويس التاسع قسما من رجال أمير التتار إلى فرنسا حيث فاوضهم على عقد اتفاقية عسكرية تنص على أن يقوم طرفاها بعمليات حربية على العرب والمسلمين ، يكون دور التتار فيها غزو العراق وتدمير بغداد والقضاء على الخلافة الإسلامية ، ويكون دور الصليبين حماية هذا الغزو التتري من الجيوش المصرية وتجريد جيوشهم لمنع نجدة القوات المصرية للمسلمين في أسيا ، وبالأحرى تقوم بعزل مصر عزلا تاما عن سائر البلاد العربية .

يقول الأسقف (دي ميسنيل Du Mesnil) نائب مدير البعثات التبشيرية في روما في كتابه عن الكنيسة والحملات الصليبية : " اشتهر هولاكو بميله إلى المسيحيين النسطوريين ، وكانت حاشيته تضم عددا كبيرا منهم ، من بينهم قائده الأكبر (كتبغا) وهو تركي الجنس مسيحي نسطوري ، كما كانت الأميرة (دوكس خاتون) زوجة هولاكو مسيحية أيضا ، وقد لعب نفوذ الأميرة على زوجها دورا خطيرا تفخر به الكنيسة في تجنب أوربا المسيحية أهوال الغزو التتري وتوجيه غزوهم إلى العرب والمسلمين في

---

[1]) غير المسلمين في المجتمع الاسلامي القرضاوي .

الشرق العربي ، حيث ذبحت قوات التتار العرب والمسلمين في مذابح بغداد ، في الوقت الذي أبقت فيه على المسيحيين في تلك المديرة ، فلم تمسهم في أرواحهم ، أو أموالهم بأذى ، كما لعبت الأميرة دورا في إغراء زوجها باحتلال سورية الإسلامية "

ويصف الأسقف حملة التتار فيقول : " لقد كانت الحملة التترية على الإسلام والعرب حملة صليبية بالمعنى الكامل لها ، حملة مسيحية نسطورية ، وقد هلل لها ب وارتقب الخلاص على يد هولاكو وقائده المسيحي (كتبغا) الذي تعلق أمل الغرب في جيشهما ، ليحقق له القضاء على المسلمين ، وهو الهدف الذي أخفقت في تحقيقه الجيوش الصليبية ، و لم يعد للغرب أمل في بلوغه إلا على أيدي التتار خصوم العرب والمسلمين "

وأخيرا انتهى أمل الصليبين بدخول التتار في الإسلام وفي ذلك يقول الأسقف (دي ميسنيل) واصفا هذه الخاتمة " وهكذا نرى الإسلام الذي كان قد أشرفت قوته على الزوال ، يسترد مكانته ، ويستعيد قوته ويصبح اشد خطرا من ذي قبل " [1]

" إن من أهم القضايا التي انبثقت من غياهب القرن العشرين قضية اغتيال الشعوب ، وان لم تكن قاصرة على هذا القرن وحده ، وتمتد سلسلة الاغتيالات الفردية أو الجماعية منذ الأساطير القديمة ، وإبادة الآلهة للمردة والأشرار ، حتى الاغتيالات السياسية والثأرية أو الإجرامية .مرورا بالإبادات الجماعية الاستيطانية أو تلك الناجمة عن الحروب السياسية الدينية .

وعلى الرغم من أن الديانة المسيحية تنص صراحة في وصاياها " ولن تقتل أبدا "إلا أن تاريخ الغرب مثقل بأنهار من الدماء التي انسابت باسم الدين حينا ، وباسم التطهير العرقي حينا آخر ، وكلاهما باسم نفس ذلك الرب الذي حرم القتل .

ولا يسع المجال هنا لتناول مجازر الحروب الصليبية والحروب الطائفية واغتيالات عصر الرعب أيام الثورة الفرنسية ، كما لا يسع لسرد قوائم الإبادة الجماعية التي يذخر بها تاريخ الاستعمار في القارة الأمريكية والقارة الاسترالية أو في غزوه للقارة الإفريقية واحتلاله لجزء كبير من أسيا .. إلا أن المرير فيها أن تقرأ عنها " ولقد كانت الإبادة

---

[1]) بين العقيدة والقيادة محمود شيت خطاب دار الفكر ص 35

مستمرة تتم في وضح النهار ، مع مباركة كافة الكنائس " (روجيه كاريتاني : قوة الضعفاء ص 207)[1]

تقديس الحرب :

وكان هذا كله لدى الجانب المسيحي جزءا من " تقديس الحرب " ما يدعوه المؤرخون الحديثون بـــ " الإصلاحي الإكليري للمقاتلين غير المتدينين " محاولة لإضفاء بعد روحي على الفضائع والأعمال الوحشية لعصر الفروسية .

ويقول مؤرخ بريطاني حديث : إن الفارس الذي ينظم إلى الحملات الصليبية يستطيع الحصول على الجانب الروحي الذي تاقت إليه روحه بحماسة ، أي على خلاص تام ، وصفح عن الذنوب ، يمكن أن يمارس القتل طوال اليوم خائضا في الدم إلى كاحله ، ثم حين يخيم الليل يركع باكيا من المتعة ، وبالفعل " يبكي من فرط المتعة " ـــ كما عبروا هم عن أنفسهم عن ذلك ـــ على مذبح الضريح ، ذلك ألم يكن هو أحمر من معصرة النبيذ ؟[2]

الحرب الاستباقية :

إن فقهاء الإسلام اختلفوا حول "الجهاد" هل هو دفاعي أم طلبي ؟ وذلك نتيجة النظر إلى الحقوق والحريات ، وسواء كان الجهاد دفاعي أو طلبي كما ذكرنا سابقا فإنه دعوة قبل كل شيء .. أما الحرب اليوم باتت تتجه للهجوم والاستباق دون إنذار على مبدأ معنا أو ضدنا كما يقول رئيس الولايات المتحدة بوش نتيجة القوة والمصالح والهيمنة .

يقول نعومي تشومسكي : تشمل المحاولة التجريبية في العراق محاولة تأسيس ما تسميه الولايات المتحدة بـــ " المعيار الجديد " في العلاقات الدولية ، والمعيار الجديد هو الحرب " الاستباقية "

هذه ليست حرب وقائية ، إن الحرب الوقائية هي رد على هجوم مستمر أو وشيك الحدوث .

---

[1]) موقف الغرب من الاسلام محاصرة وابادة أ.د. زينب عبد العزيز ص 216-217

[2]) الدول المارقة نعومي تشومسكي ص 354

إن مبدأ الحرب الاستباقية مختلف تماما ، فهي تقتضي أن الولايات المتحدة ـــ لوحدها بعد أن لم يعد احد يمتلك هذا الحق ـــ لها الحق بمهاجمة أي بلد ، تدعي انه يمثل خطرا محتملا عليها ولذلك ، إذا ادعت الولايات المتحدة على أي أساس كان أن أحدا ما قد يهددها أصبح بالتالي لها الحق بمهاجمته . [1]

وتصر الولايات المتحدة على الحرب " الاستباقية " لأسباب عديدة منها :

١. تنفيذ الأهداف على الأرض بمعنى تطبيق الإستراتيجية الأمريكية الجديدة بكل أبعادها السياسية والاقتصادية والأمنية .

٢. إن للحرب فوائد عسكرية عديدة للجيش الأمريكي وفي مقدمتها : التخلص من الذخائر والأسلحة القديمة ، وإحلال أسلحة وذخائر حديثة ومتطورة ، بما يعني تشغيل مصانع السلاح وتنشيط مبيعاتها ، وهي فرصة لتجريب أسلحة وذخائر الحرب الحديثة ، وهي الأسلحة الأكثر تطورا وتقنية التي يطلق عليها " الأسلحة الذكية " في ميدان معركة حقيقي .

٣. إن الخطورة في إستراتيجية هذا النوع من الحروب أنها ناتجة عن كونها مفتوحة الاحتمالات لا تتقيد بحدود جغرافيا السياسة ، ولا تحترم قواعد القانون الدولي ولا تهتم بمقولة " الاصدقاء " و " الأعداء " حيث يمكن تصنيف الدول الصديقة في أية لحظة في خانة الأعداء ، ولا مانع من حدوث العكس إذا تطلبت " المصلحة القومية " ذلك !!

إضافة إلى لائحة هلامية متحركة سريعة التضخم والتقلب لما يسمى " المنظمات الإرهابية " أو " الجماعيات والدول الداعمة لها " [2]

إطار المصالح :

---

[1]) الامبراطورية بعد احتلال العراق بول كيندي ، نعوم تشومسكي واخرون ط1424/1هـ2003م ص 144 ترجمها وقدم لها تركي الزميلي منشورات موقع الاسلام اليوم .

[2]) راجع : لماذا يكرهوننا ناصر الزامل ص 267 ، الحرب الوقائية بعد احداث 11 سبتمبر منوجهة نظر القانون الدولي وحقوق الانسان العراق نموذجا د. عبد الله تركماني كاتب وباحث سوري . بحث منشور على الانترنت .

إن حروبهم محصورة في "المصالح"، وتتم التضحية في سبيلها بكل القيم الإنسانية والغايات النبيلة ، وأبرز ما تتجلى "حرب المصالح" في العصر الحديث في الحروب الأمريكية . ففي كتابه "أمريكا طليعة الانحطاط "يسوق "روجيه جارودي" أدلة كثيرة على أن " أمريكا لا تتوقف عند حدّ أخلاقي أو قانوني لتكسب حربًا دون أن تفقد خسائر بشرية أمريكية كثيرة .

تبرير الوحشية والإرهاب :

إن القسوة والاضطهاد، والتعذيب والتنكيل، والتشريد والتقتيل، والإبادة الجماعية، والإرهاب المستمر، لن يسمح له بالبقاء كل هذا لا يقع شذوذًا أو فلتة ، أو نزولاً على حكم الضرورة ، بل إن العنف والاضطهاد الوحشي للمخالفين يمثل سياسة ثابتة دائمة، قائمة على فلسفة نظرية لا تكتفي بتبرير العنف فقط، بل توجبه وتحتمه وتجعله من فرائض الثورة والثورية ولوازمها وزعموا أن هذا العنف من خصائص كل دعوة انقلابية في الماضي والحاضر ـــ دينية أو غير دينية، وجهلوا موقف الإسلام المتميز. ولكي يكون العنف عنفًا انقلابيا ناجحًا يجب أن يستخدم باستمرار وحدة وثبات وقسوة.

ومما قاله أحد الدارسين للأيديولوجية اللادينية الحديثة: "يتخذ العنف عادة قبل الاستيلاء على الدولة شكلاً فرديًا يكون هدفه ـــ كما حدده الفوضويون، وفي طليعتهم الفوضوية الروسية ـــ التهويل وتفكيك السلطة، عن طريق الخوف، وإعداد الطريق بذلك للخطوة التالية، ألا وهي الاستيلاء على الدولة.

ولكن بعد الاستيلاء على الدولة يتحول هذا العنف إلى عنف جماعي هدفه ترسيخ السلطة وتثبيتها بدلاً من تفكيكها، فبينما يتجه العنف الفردي إلى أفراد في مراكز رئيسية حساسة، يتجه العنف الجماعي الانقلابي الجديد صوب الشعب ككل، أو صوب جماعة معينة. إن الهدف من العنف الثاني ليس اعتماد الخوف فقط، بل إزالة العدو من الوجود، كي ينسجم المجتمع مع المذهب الجديد " ([1])

---

[1]) غيرالمسلمين في المجتمع الاسلامي القرضاوي ، عن : الأيدولوجية الانقلابية للدكتور نديم البيطار – منشورات المؤسسة الأهلية للطباعة والنشر ـــ بيروت ص706

الإفساد الخلقي :

وهناك تدمير أخر في الحروب نجدها في حروبهم وهو تدمير العقول وغزو الأخلاق ، وهذا التدمير لا نجده في الجهاد بل على العكس نجد الأخلاق والوعي والسمو بالإنسان نحو الخير والايجابية .. وفي إحدى الصحف البولندية بتاريخ 2003/7/10م نقرأ " دور السينما الإباحية في بغداد بدأت تظهر في كل مكان مثل الفطر بعد هطول الأمطار.

وفي مقال مطول لمجلة نيوزويك الأمريكية بتاريخ 2003/12/22م وبالخط العريض تحت عنوان " المنكر العراقي " :

المواطنون يصفونه بالوجه الخبيث للحرية ، المخدرات والإباحية والمومسات والخمور في كل مكان الآن . والذين يبقون اللوم على أمريكا ليسوا من المتطرفين فقط ... قبل الحرب كانت العراق إحدى اشد المجتمعات العالمية سيطرة ، اقتصر بيع الخمور على عدد محدود من المتاجر المرخصة وفي السنوات الأخيرة تم منع شرب الخمور تماما في المطاعم والفنادق ، وقامت لجنة تابعة لوزارة الثقافة بمراقبة ومنع أدق المشاهد الإباحية في الأفلام والمجلات ، كان يحكم على المومسات بالإعدام ، والإدمان الشديد للمخدرات كان شبه معدوم ....

العراقيون يصفونه بالوجه القبيح للحرية .. بيع الخمور من السيارات ومجلات إباحية لا تحصى تعرض عند سوق الباب الشرقي .. تجول من السوق إلى أخر الطريق فتجد سينمات إباحية حيث يمكنك بمبلغ سبعين سنتا (ثلاثة ريالات سعودية) شراء تذكرة ليوم كامل ..

ثلث الشعب يستقبل القنوات الفضائية الاباحية ... يقول المقدم عمر زاهد : قمنا فور انتهاء الحرب بملاحقة المومسات ومروجي الإباحية وإلقائهم في السجون ولكن الشرطة العسكرية الأمريكية تدخلت وأرغمتنا على إطلاق سراحهم ، بعد ذلك تبين لهم انه لا خوف عليهم "

أمثلة تاريخية

ولنضرب أمثلة لحروبهم وفي المثال يتضح المقال ـــ سواء كانت ضد المسلمين أو ضد بعضهم ـــ وماذا خلفت ، وماذا فعلت ؟ وكيف كان معاملتها للمغلوبين ؟ ولنتأمل بروية لحقيقة دعواهم وتشدقهم بأنهم هم حملة السلام والتحرر فهل هم كذلك ؟

وقبل أن نتناول هذه الأمثلة لابد من الإشارة إلى معاهدة جنيف " للحد من جريمة إبادة الجماعات الإنسانية ، والتي تندرج تحت مسمى (Genocide). ويبدو أن الضمير الغربي لم يكن ليعبأ بجرائم الإبادة التي يقوم بها تحت مختلف المسميات ، ذلك أن كلمة " إبادة جماعات إنسانية " (Genocide) لم تكن موجودة قبل عام (1944م) و لم يكن هناك أي عرف دولي يعاقب على عملية القتل أو الاضطهاد حتى الموت لجماعة عرقية أو لغوية أو دينية . ذلك أن قوانين الحرب ، كانت تحرم رب الأحياء السكنية بالقنابل ، واغتصاب النساء وغيرها من بشاعات ، و لم يتم اتخاذ أي قرار بشأن هذه الجرائم و لم يستيقظ الضمير الغربي الممثل في الأمم المتحدة إلا عام (1948م) حينما اتخذت هذه الهيئة قرارها في التاسع من شهر ديسمبر بتحريم الإبادة الجنسية أو العرقية .

ومما تجدر الإشارة إليه توافق هذا التاريخ مع إنشاء الكيان الصهيوني في فلسطين المحتلة !!!

ويشير روجيه كاريتاني إلى أن بنود هذه المعاهدة تتضمن مغالطات غريبة إذ أنها لا تعتبر ضرب المدن من أشكال الإبادة الجماعية ، وإنما تهتم بالإبادة المتعمدة العامة أو الجزئية ، كما أن الإبادة العامة أو الجزئية لجماعة سياسية لا تدرج تحت بند الإبادة ، وبالمثل إبادة ثقافة شعب ما !!

ومن أكثر الأمور غرابة في هذه المعاهدة المتناقضة الفحوى أنها تنص على ضرورة وجود " نية مبيتة " لاعتبار الجريمة جريمة إبادة !! مما يسمح للحكومات بالاختباء خلف أدلة قانونية لتبرير ما تقترفه من اغتيالات جماعية أو فردية ، ولا أدل على تلاعب الحكومات بالمسميات القانونية من المجازر الناجمة عن الغزوات الاستعمارية أو ما أعقبها

من احتلال ومذابح ، وان كانت هذه المذابح تتم تحت زعم السيطرة على السلط ة أو الصراع عليها بين فصيلتين عرقيتين .

وهناك نمط أخر للإبادة غير مدرج في بنود معاهدة (1948م) هذه وهو ما يتعلق بالجماعات السياسية وعمليات الطرد الجماعية أو القتل التي تدفع إليها السلطة الحاكمة ، من قبيل طرد الفلسطينيين من أراضيهم والعمل على إبادتهم ببطء ، ومثل تلك المجازر (التي حدثت) في البوسنة والهرسك ، والتي تجمع بين طياتها كل المحرمات اللاإنسانية .[1]

فيما بينهم :

يقول العلامة يوسف القرضاوي : " الذين قرأوا تاريخ المسيحية يعرفون ماذا جرى للعالم المصري "آريوس "وأتباعه الذين عارضوا القول بإلوهية المسيح، في مجمع نيقية المشهور (325م) وكيف قرر هذا المجمع ـــ بعد أن طرد من أعضائه كل المعارضين ـــ وهم الأكثرية ـــ إدانة "آريوس "وإحراق كتاباته ، وتحريم اقتنائها ، وعزل أنصاره من كل الوظائف ، ونفيهم ، والحكم بالإعدام على كل من أخفى شيئًا من كتابات "آريوس" ومن أيَّد مذهبه.

وباستمرار الاضطهاد للداعين إلى التوحيد اختفوا تمامًا من المجتمعات المسيحية، و لم يبق لدعوتهم أثر.

يقول بعض الكتاب: "إن الاختلافات اللاهوتية بين المسيحية في تفسير بعض أقوال أو مبادئ التوراة ، كانت تؤدي إلى قتال يحصدهم حصدًا. أن يشتق الروح القدس من الأب والابن ، أومن الابن وحده ! أو أن يكون الخبز والنبيذ جسدًا ودمًا أو لا يكونا ! أو أن يكون المسيح ذا طبيعتين أو لا يكون: طبيعة إنسانية وطبيعة إلهية...إلخ ـــ كانت كلها مماحكات مات الناس في الدفاع عنها والخصام حولها بعشرات الألوف ، وعذب المؤمنون بعضهم بعضًا في سبيلها بأشد أنواع التعذيب.[2]

---

١) موقف الاسلام من الغرب محاصرة وابادة ص218

٢) غير المسلمين في المجتمع الاسلامي نقلا عن الأيديولوجية الانقلابية ص714

ولما ظهر مذهب البروتستانت في أوروبا ـــ على يد "لوثر" وغيره ـــ قاومت الكنيسة الكاثوليكية أتباع هذا المذهب بكل ما أوتيت من قوة، وعرف تاريخ الاضطهاد مذابح بشرية رهيبة، من أهمها مذبحة باريس (في 24 أغسطس عام 1572م) التي دعا فيها الكاثوليك البروتستانت ضيوفًا عليهم في باريس للبحث في تسوية تقرب بين وجهات النظر، فما كان من المضيفين إلا أن سطوا على ضيوفهم تحت جنح الليل، فقتلوهم خيانة وهم نيام ! فلما طلع الصباح على باريس كانت شوارعها تجري بدماء هؤلاء الضحايا ! وانهالت التهاني على "تشارلس التاسع" بغير حساب من البابا، ومن ملوك الكاثوليك وعظمائهم.

والعجيب أن البروتستانت لما قويت شوكتهم ، قاموا بدور القسوة نفسه مع الكاثوليك و لم يكونوا أقل وحشية منهم .[١]

لقد قال "لوثر "لأتباعه: "من استطاع منكم فليقتل ، فليخنق ، فليذبح ، سرًا أو علانية ، اقتلوا واخنقوا ، واذبحوا ، ما طاب لكم ، هؤلاء الفلاحين الثائرين " [٢]

الحرب الصليبية :

يقول نعومي تشومسكي : وإذا عاد المرء إلى المصادر العربية حول الغزوات الإفرنجية التي يدعوها الغرب بالحملات الصليبية سيعرف إلى أي مدى تم التقيد بهذا المرسوم الذي أصدره مجلس ناربون خارج ملكيات الكنيسة ، فاللاجئون الذين كانوا يفرون إلى بغداد بعد غزو القدس في 1099 بعد نصف قرن أفادوا أن الغزاة نهبوا ودمروا جميع البلدات ، والمدن في طريقهم ، وقتلوا الفلاحين ، وسكان البلدات ، وحين وصلوا إلى المدينة المقدسة ـــ بحسب مؤرخين معاصرين ـــ تدفق المحاربون الشقر ، الذين يرتدون الدروع، في الشوارع بسيوف مشرعة ، وذبحوا الرجال والنساء والأطفال ونهبوا المنازل ، وسلبوا المساجد ، و لم يتركوا مسلما واحدا حيا داخل أسوار المدينة .

وحين توقف القتل بعد بضعة أيام ، كان هناك ألاف من البشر يتمددون على برك من الدماء على عتبات منازلهم أو إلى جانب المساجد ، كانت هناك جماعة يهودية في

---

١) انظر "المسيحية" للدكتور أحمد شلبي ص51

٢) غير المسلمين في المجتمع الاسلامي نقلا عن الأيديولوجية الانقلابية ص710

القدس لقيت المصير نفسه ، وانسحبت الجماعة أخيرا إلى الكنيس الرئيسي الذي احرقه الغزاة الفرنجة ودمروه ، بينما أولئك الذين نجحوا في الهرب تم أسرهم وقتلهم ، واحرق البقية أحياء .وهكذا انتهت الحملة الصليبية الأولى بدم المغزوين يسيل في الشوارع بينما كان الفرسان وكما قالوا : " يبكون من فرط المتعة " جاؤوا إلى كنيسة الضريح " وشبكوا أيديهم الملطخة بالدماء سوية وهم يصلون " وهذا اقتباس من كتاب تاريخي غربي يتحدث عن هذا الموضوع ، و لم يطمس المؤرخون الغزاة أنفسهم هذه الحقائق في ذلك الوقت . وصفوا كيف سلق محاربوا الكنيسة " رجالا وثنيين في القدور " ثم خوزقوا الدجاج على السفافيد واكلوه مشويا " وشعر احد المؤرخين أنهم ذهبوا بعيدا أكثر من اللازم بقليل : " لم تقدم قواتنا على أكل الموتى من المسلمين والعرب فحسب ، وإنما أكلت الكلاب أيضا " يجب أن هناك بعض الحدود في النهاية. [1]

,في كتابه (على خطى الصليبيين) يقول مؤلفه الفرنسي (جان كلود جويبو).. تحت ضغط الحجاج قرر (رايموند دي سال – جيل) بدءً من 23 نوفمبر محاصرة معرة النعمان – بسوريا – كان الحصار طويلاً صعباً لكن الصليبيين أفلحوا في الاستيلاء على المدينة وذبحوا سكانها..

وفي هذا يقول ابن الأثير: فوضع الفرنج فيهم السيف ثلاثة أيام فقتلوا ما يزيد على مائة ألف وسبوا السبي الكثير وملكوه وأقاموا أربعين يوماً ..[2]

ويقول رانسيمان : إن الصليبين وقد جُنوا بما أحرزوه من نصر كبير بعد المعاناة ، اندفعوا عبر الطرقات والمنازل والمساجد يتقلون كل من صادفهم ، يستوي في ذلك ، الرجال والنساء والأطفال ، ولاستمرت المذبحة طيلة عصر ذلك اليوم وتلك الليلة ، و لم تفرض راية تانكريد أية حماية على أولئك الذين لاذوا بالمسجد الأقصى ، ففي وقت مبكر من صباح اليوم التالي اقتحمت عصبة من الصليبيين المسجد وقتلت كل من فيه ، وعندما طاف ريمون داجيليه بالمنطقة التي يقع فيها المسجد كان عليه أن ينقل الخطى ليجد طريقا بين الجثث والدماء التي بلغت ركبتيه "

---

١) الدول المارقة نعومي تشومسكي ص352تعريب اسامة اسبر مكتبة العبيكان ط1425/1هـ2004م

٢) الكامل في التاريخ ابن الاثير 420/8 دار الكتاب العربي ط1422/3هـ2001م وانظر البداية والنهاية 155/12 ، تاريخ بن خلدون 20/5

وقد كتب المؤرخ راؤل دي كايين المرافق للفرنج " في مدينة المعرة كان رجالنا يقومون بغلي شبان الوثنيين (المسلمين) في آزانات ، ويوثقون الأطفال على الأسياخ ويأكلونهم مشويين " [١]

يذكر "فيدهام" أن هذه الحروب كانت مليئة بالفظائع: لأن رجال اللاهوت" الطيبين" كانوا مستعدين دائمًا أن يضعوا الزيت على النار، وأن يحيوا وحشية الجنود عندما يساورهم أي تردد أو ضعف، فقد يكون الجنود قساة، ولكنهم كانوا يميلون في بعض الأحيان إلى الرحمة، أما رجال اللاهوت فاعتبروا الاعتدال والرحمة نوعًا من الخيانة[٢]

ويصف ابن الأثير في الكامل الاستيلاء على القدس: ولبث الفرنج في البلدة أسبوعاً يقتلون فيه المسلمين ، وقتل الفرنج بالمسجد الأقصى ما يزيد على سبعين ألفاً منهم جماعة كثيرة من أئمة المسلمين وعلمائهم وعبادهم وزهادهم ممن فارق الأوطان وجاور بذلك الموضع الشريف وأخذوا من عند الصخرة نيفاً وأربعين قنديلاً من الفضة وزن كل قنديل ثلاثة آلاف وستمائة درهم وأخذوا تنوراً من فضة وزنه أربعون رطلاً بالشامي وأخذوا من القناديل الصغار مائة وخمسين قنديلًا نقرة ومن الذهب نيفاً وعشرين قنديلاً وغنموا منه ما لا يقع عليه الإحصاء .[٣]

ولما تم للصليبين اخذ المقدس وضعوا السيف في أهله وأرسل (جودفري) خطابا إلى البابا يقول فيه : إن خيولنا كانت تخوض في بحر من دماء المسلمين .

" وما أكثر الوثائق الموجودة عن قصص أكلي لحوم البشر التي ارتكبها جنود الفرنجة الصليبيون في مدينة المعرة عام 1098م وحتى القرن التاسع عشر كان يمكن العثور عليها في كتابات المؤرخين الأوربيين وهو ما نطالعه في كتاب الحروب الصليبية للمؤرخ ميشو الفرنسي المنشور فيما بين 1817–1822 . راجع (257/1، 577) وبيلوغرافيا الحروب الصليبية ص (48) ، (76) ، (183) ، (248) .[٤]

---

١) حرب صليبية بكل المقاييس أ.د. زينب عبد العزيز ص11–12. دار الكتاب العربي ط2003/1م . ولقد تناولت الدكتوره جزاها الله خيرا عبارة " حرب صليبية " بالتحليل الدقيق وبالتفصيل من خلال الوثائق الكنسية والغربية لتوضح بما لا يدع مجالا للشك في ان الحروب الصليبية تمثل جزءا اساسيا في الفكر والمنهج الباباوي .

٢) الأيديولوجية الانقلابية ص716

٣) الكامل في التاريخ ابن الاثير 425/8 وانظر تاريخ بن خلدون 21/5 المنتظم لابن الجوزي 105/9

٤) حرب صليبية بكل المقاييس أ.د. زينب عبد العزيز ص11–12

حرب التتار :

هب الإعصار المغولي من الشرق يجتاح الأخضر واليابس ، ويدمر معالم المدنية والحضارة ، ويمسح المدن من الخارطة ، ويقتل الناس ويشردهم وينهبهم .. حتى وصلوا إلى عاصمة الخلافة بغداد عام 654هـ /1256م ودخلوها دخول الضواري المفترسة ، وقتلوا مئات الألوف من أهلها ، ونهبوا خزائنها وذخائرها ، وقضوا على الخلافة العباسي ة وعلى معالم الحضارة الإسلامية ، ثم قتلوا الخليفة المستعصم بالله وأفراد أسرته وأكابر دولته.

محاكم التفتيش :

وفى كتاب من تأليف المطران برتولومي دي لاس كازاس. ترجمة سميرة عزمي الزين. من منشورات المعهد الدولي للدراسات الإنسانية يقول : ولد (برتولومي دي لاس كازاس) عام 1474 م في قشتالة الأسبانية ، من أسرة اشتهرت بالتجارة البحرية. وكان والده قد رافق كولومبوس في رحلته الثانية إلى العالم الجديد عام 1493 م أي في السنة التالية لسقوط غرناطة وسقوط الأقنعة عن وجوه الملوك الأسبان والكنيسة الغربية. كذلك فقد عاد أبوه مع كولومبوس بصحبة عبد هندي فتعرف برتولومي على هذا العبد القادم من بلاد الهند الجديدة. بذلك بدأت قصته مع بلاد الهند وأهلها وهو ما يزال صبيا في قشتاله يشاهد ما يرتكبه الأسبان من فضائع بالمسلمين وما يريقونه من دمهم وإنسانيتهم في العالم الجديد.

كانوا يسمون المجازر عقابا وتأديبا لبسط الهيبة وترويع الناس، كانت سياسة الاجتياح المسيحي : أول ما يفعلونه عندما يدخلون قرية أو مدينة هو ارتكاب مجزرة مخيفة فيها.. مجزرة ترتجف منها أوصال هذه النعاج المرهفة .

وإنه كثيرا ما كان يصف لك القاتل والمبشر في مشهد واحد فلا تعرف مما تحزن: أمن مشهد القاتل وهو يذبح ضحيته أو يحرقها أو يطعمها للكلاب ، أم من مشهد المبشر الذي تراه خائفا من أن تلفظ الضحية أنفاسها قبل أن يتكرم عليها بالعماد ، فيركض إليها لاهثا يجرجر أذيال جبته وغلاظته وثقل دمه لينصرها بعد أن نضج جسدها بالنار أو اغتسلت بدمها ، أو التهمت الكلاب نصف أحشائها.

إن العقل الجسور والخيال الجموح ليعجزان عن الفهم والإحاطة ، فإبادة عشرات الملايين من البشر في فترة لا تتجاوز الخمسين سنة هول لم تأت به كوارث الطبيعة. ثم إن كوارث الطبيعة تقتل بطريقة واحدة . أما المسيحيون الأسبان فكانوا يتفننون ويبتدعون ويتسلون بعذاب البشر وقتلهم . كانوا يجرون الرضيع من بين يدي أمه ويلوحون به في الهواء، ثم يخبطون رأسه بالصخر أو بجذوع الشجر ، أو يقذفون به إلى أبعد ما يستطيعون. وإذا جاعت كلابهم قطعوا لها أطراف أول طفل هندي يلقونه ، ورموه إلى أشداقها ثم أتبعوها بباقي الجسد. وكانوا يقتلون الطفل ويشوونه من أجل أن يأكلوا لحم كفيه وقدميه قائلين : أنها أشهى لحم الإنسان.

رأى لاس كازاس كل ذلك بعينيه ، وأرسل الرسائل المتعددة إلى ملك أسبانيا يستعطفه ويسترحمه ويطالبه بوقف عذاب هؤلاء البشر. وكانت آذان الملك الأسباني لا تسمع إلا رنين الذهب. ولماذا يشفق الملك على بشر تفصله عنهم آلاف الأميال من بحر الظلمات ما دامت جرائم عسكره ورهبانه في داخل أسبانيا لا تقل فظاعة عن جرائم عسكره ورهبانه في العالم الجديد؟ كان الأسبان باسم الدين المسيحي الذي يبرأ منه المسيح عليه السلام ، يسفكون دم الأندلسيين المسلمين الذين ألقوا سلاحهم وتجردوا من وسائل الدفاع عن حياتهم وحرماتهم. وكان تنكيلهم بهم لا يقل وحشية عن تنكيلهم بهنود العالم الجديد. لقد ظلوا يسومون المسلمين أنواع العذاب والتنكيل والقهر والفتك طوال مائة سنة فلم يبق من الملايين الثلاثة الثلاثين (حسبما ذكر الكتاب) مسلم واحد ، كما ساموا الهنود تعذيبا وفتكا واستأصلوهم من الوجود. كانت محاكم التفتيش التي تطارد المسلمين وتفتك بهم ، ورجال التبشير الذين يطاردون الهنود ويفتكون بهم من طينة واحدة.

إن أحدا لا يعلم كم عدد الهنود الذين أبادهم الأسبان المسيحيين ، ثمة من يقول انه مائتا مليون، ومنهم من يقول أنهم أكثر . أما لاس كازاس فيعتقد أنهم مليار من البشر ، ومهما كان الرقم فقد كانت تنبض بحياتهم قارة أكبر من أوروبا بسبعة عشر مرة ، وها قد صاروا الآن أثرا بعد عين.

أما المسيحيون فقد عاقبوا المسلمين من الهنود بمذابح لم تعرف في تاريخ الشعوب. كانوا يدخلون على القرى فلا يتركون طفلا أو حاملا أو امرأة تلد إلا ويبقرون بطونهم

ويقطعون أوصالهم كما يقطعون الخراف في الحظيرة. وكانوا يراهنون على من يشق رجلا بطعنة سكين ، أو يقطع رأسه أو يدلق أحشاءه بضربة سيف.

كانوا ينتزعون الرضع من أمهاتهم ويمسكونهم من أقدامهم ويرطمون رؤوسهم بالصخور . أو يلقون بهم في الأنهار ضاحكين ساخرين. وحين يسقط في الماء يقولون: (عجبا انه يختلج). كانوا يسفدون الطفل وأمه بالسيف وينصبون مشانق طويلة ، ينظمونها مجموعة مجموعة ، كل مجموعة ثلاث عشر مشنوقا ، ثم يشعلون النار ويحرقونهم أحياء . وهناك من كان يربط الأجساد بالقش اليابس ويشعل فيها النار.

كانت فنون التعذيب لديهم أنواعا متنوعة. بعضهم كان يلتقط الأحياء فيقطع أيديهم قطعا ناقصا لتبدو كأنها معلقة بأجسادهم، ثم يقول لهم : (هيا احملوا الرسائل) أي : هيا أذيعوا الخبر بين أولئك الذين هربوا إلى الغابات. أما أسياد الهنود ونبلاؤهم فكانوا يقتلون بأن تصنع لهم مشواة من القضبان يضعون فوقها المذراة، ثم يربط هؤلاء المساكين بها، وتوقد تحتهم نار هادئة من أجل أن يحتضروا ببطء وسط العذاب والألم والأنين.

ولقد شاهدت مرة أربعة من هؤلاء الأسياد فوق المشواة. وبما أنهم يصرخون صراخا شديدا أزعج مفوض الشرطة الأسبانية الذي كان نائما (أعرف اسمه ، بل أعرف أسرته في قشتاله) فقد وضعوا في حلوقهم قطعا من الخشب أخرستهم ، ثم أضرموا النار الهادئة تحتهم.

رأيت ذلك بنفسي ، ورأيت فظائع ارتكبها المسيحيون أبشع منها. أما الذين هربوا إلى الغابات وذرى الجبال بعيدا عن هذه الوحوش الضارية فقد روض لهم المسيحيون كلابا سلوقية شرسة لحقت بهم، وكانت كلما رأت واحدا منهم انقضت عليه ومزقته وافترسته كما تفترس الخنزير. وحين كان الهنود يقتلون مسيحيا دفاعا عن أنفسهم كان المسيحيون يبيدون مائة منهم لأنهم يعتقدون أن حياة المسيحي بحياة مائة هندي أحمر . [1]

---

[1]) موقع اخوية نت .

وفي روسيا :

وفي روسيا بعد قيام الثورة الشيوعية في روسيا سنة 1917م أقيمت للمسلمين مجازر رهيبة فعلى مدار خمسين عاما تم إفناء عشرين مليون مسلم ، كما ثبت في الإحصائيات الروسية أن الزعيم الروسي الجزار ستالين قتل احد عشر مليون مسلم .[١]

" ولقد ارتكب الشيوعيون في روسيا من الفظائع والمذابح ، عند القيام بثورتهم وبعدها ما لا يخطر ببال، وما يفوق كل خيال. حتى إن بعض معاوني "لينين" ـــ مؤسس الجولة الشيوعية الأولى في هذا العصر ـــ أخذوا يتذمرون من التضحيات الكبرى بالدماء والأرواح التي نتجت عن الحرب الأهلية، فلما كلَّموه في ذلك كان جوابه بكل بساطة: "ليس للأمر أهمية أبدًا إن مات ثلاثة أرباع الشعب، إن ما يهمنا هو أن يصبح الربع الباقي شيوعيًا) ." [٢]

أما ما وقع في عهد "ستالين" من مجازر وفظائع، وما شهده الشعب من حمامات الدم، وحملات التطهير المتلاحقة، فحدِّث ولا حرج، وقد جرت به أنهار الصحف، وتناقلته أنباء العالم في عهد" خروشوف". ولا يتسع المجال لذكر نماذج منه .

وعقب تدخل الجيش الشيبوعي الروسي في أفغانستان وتعاونه مع الحكومة الشيوعية أقيمت مذابح للمسلمين الذي رفضوا الشيوعية وقد بلغت الضحايا التي قدمها الأفغان أكثر من مليون ونصف من القتلى إضافة إلى تشريد خمسة ملايين من الشيوخ والنساء والأطفال . [٣]

وفي الجزائر مليون شهيد :

كان الفرنسيون يعتبرون الجزائر جزءا لا يتجزأ من فرنسا ولذا ارتكبت أبشع المجازر ضد المسلمين ، وبعد هزيمة فرنسا وخروجها من الجزائر ألقى احد كبار المستشرقين محاضرة في مدريد كان عنوانها : لماذا كنا نحاول البقاء في الجزائر ؟

---

١) العالم الاسلامي والمكائد الدولية فتحي يكن ص 89

٢) الإسلام في وجه الزحف الأحمر" للشيخ محمد الغزالي ص688

٣) الجهاد الافغاني ودلالاته محمد قطب ص 66

قال فيها : إننا لم نكن نسخر نصف مليون جندي من اجل نبيذ الجزائر أو صحاريها أو زيتونها إننا كنا نعتبر أنفسنا سور أوربا الذي يقف في وجه زحف إسلامي محتمل يقوم به الجزائريون وإخوانهم المسلمين عبر لمتوسط ليستعيدوا الأندلس التي فقدوها ، وليدخلوا معنا في قلب فرنسا بمعركة مواتية جديدة ينتصرون فيها ويكتسحون أوربا الواهنة ويكملون ما عوم عليه الأمويون لتحويل البحر المتوسط إلى بحيرة إسلامية .. من اجل ذلك كنا نحارب في الجزائر " [1]

وفي أوغندا :

فقد قامت القوات التنزانية النصرانية التي احتلت اوغندة بعد سقوط الرئيس عيدي أمين بمجزرة رهيبة للمسلمين وذكرت الأنباء أن أكثر من خمسين ألف مسلم هربوا إلى جنوب السودان بسبب أعمال القتل الجماعية والسرقة التي ترتكب ضدهم .[2]

هيروشيما وناغازاكي :

" وفي القرن العشرين أصبح السكان المدنيون مرة أخرى هدفا رئيسيا كما في أيام التوراة ، وحروب الفرنجة وحقب دموية أخرى ، وافتتح النازيون أراضي جديدة بالإبادة الجماعية المعتمدة على الصناعة ، وتذكروا أن هذه كانت القوة الصناعية والتقنية الأكثر تقدما في العالم ، والمركز الثقافي للغرب بالإضافة إلى ذلك ، ووصلت الهجمات العسكرية خاصة التي تستهدف المدنيين إلى أوجها حين قصف الحلفاء ألمانيا واليابان ، وكان أكثر هذه الهجمات هولا قبل هيروشيما وناغازاكي هو القصف الناري لطوكيو في آذار 1945م الذي قتل من ثمانين ألفا إلى مائتي ألف مدني ، ولم يكن أحد ينتبه كثيرا إلى الأرقام آنذاك ، وهكذا فان التقديرات تتباين بشكل واسع ، ولقد ترك هذا القصف أكثر من نصف مليون في حال من التشرد في المدينة غير المحصنة ، وكان الهدف من القصف الناري هو إشعال عاصفة نارية هائلة في المدينة وذلك كون منازلها مصنوعة من الخشب ،

---

١) قادة الغرب يقولون دمروا الاسلام وابيدوا اهله جلال العالم ص 51

٢) مجلة المختار الاسلامي العدد20 ربيع الاول 1401هـ

والأمر كله يمكن أن يتحول إلى وحشية مريعة كما حدث ، وأزال هذا القصف أيضا طوكيو من قائمة أهداف القصف النووي ، على أساس الدمار الزائد لن يكون مؤثرا ، ولن يفعل أكير من تكوين الحطام فوق الحطام ، والجثث فوق بعضها ، وبعد الحرب استنتج مركز مسح القصف الاستراتيجي الأمريكي " أن كثيرا من الناس فقدوا حياتهم في طوكيو بسبب النار في ست ساعات أكثر مما حدث في أي وقت في تاريخ البشرية " وأحيا الذكرى الخمسين لهذا العمل الوحشي تقرير حي ومريع في مجلة فار إيسترن إيكونوميك ريفيو في هونغ كونغ ، مجلة الأعمال الرئيسية في آسيا ، والتي هي محافظة جدا ، أما هنا في الولايات المتحدة فقد مرت الذكرى دون انتباه إلى درجة انه لم يحدث رد فعل ، و لم يتحدث احد عن الموضوع سوى تعليق في واشنطن بوست : " إذا كان هذا ما حدث من اجل النصر فهذا ما ينبغي فعله " [١]

وقدر المستر مكستن عضو البرلمان الانكليزي إن المصابين في الحرب العالمية الثانية 1939م لا يقل عددهم عن خمسين مليون وقد كلف قتل الرجل واحد في الحرب الأولى عشرة ألاف جنيه ، أما مجموع نفقاتها فيبلغ 37مليار (37000.000.000) جنيه ، أما نفقات الحرب الثانية لساعة واحدة فمليون من الجنيهات .[٢]

وفي البوسنة :

أما عن حرب الإبادة التي حدثت في البوسنة ، أو تلك الفضيحة الدولية العي تعجز الكلمات عن وصفها ، فقد أعلن " ليفنستون " الرئيس السابق لمفوضي الأمم المتحدة بشئون اللاجئين في البوسنة " إن اغتصاب النساء المسلمات لم يعد نوعا من الجرائم التي يرتكبها الأفراد على نطاق واسع فحسب ، وإنما أصبح جزءا في السياسة الصربية ، واحد المحاور الأساسية لعملية التطهير العرقي الذي يجري تنفيذه ضمن الأساليب الأخرى المعروفة : الفصل من العمل والقتل في الشوارع والإعدام على الملأ ، فضلا عن ترويع الناس بإحراق البيوت وهدمها .. إن مسألة الاغتصاب المنتظم يجب أن لا ينظر إليها

---

١) الدول المارقة نعومي تشومسكي ص363-364

٢) ماذا خسرالعالم بانحطاط المسلمين ابو الحسن الندوي ص239

منفصلة عن سياق التطهير العرقي التي عمد إليها الصرب أو استهدفوا إجلاء اكبر عدد من السكان المسلمين من الأراضي وتدمير معنوياتهم .[1]

وغير ذلك في شتى أنحاء العالم ولا ننسى كشمير والهند والشيشان والقائمة تطول .. وما يحدث في فلسطين لا احد ينكره من احتلال وطرد وقتل وتدمير والعالم شاهد على ما يحدث ، يرى ذلك ليلا ونهارا ، مباشرا ومسجلا ..

حروب أمريكا :

أما الحروب التي خاضتها أمريكا فلا تقل بشاعة وعنفا ودموية عن غيرها ..

في عام 1730م أصدرت الجمعية التشريعية(البرلمان) الأمريكي لمن يسمون أنفسهم (البروتستانت الأطهار) تشريعا يبيح عملية الإبادة لمن تبقى من الهنود الحمر ، فأصدرت قرارا بتقديم مكافأة مقدارها 40جنيها مقابل كل فروة رأس مسلوخة من رأس هندي احمر ، و40 جنيها مقابل اسر كل واحد منهم ، وبعد خمسة عشر عاما ارتفعت المكافأة إلى 150 جنيها مقابل فروة رأس امرأة أو فروة رأس طفل .

في عام 1763م أمر القائد الأمريكي (البريطاني الأصل) جفري أهرست برمي بطانيات كانت تستخدم في مصحات علاج الجدري إلى الهنود الحمر بهدف نشر المرض بينهم مما أدى إلى انتشار الوباء الذي نتج عنه موت الملايين من الهنود ، ونتج عن ذلك شبه إفناء للسكان الأصليين في القارة الأمريكية .

ويذكر الباحث منير العكش الباحث في علوم الإنسانيات في كتابه " أمريكا والإبادات الجماعية " أن أمريكا الإمبراطورية الدموية أبادت 112 مليون إنسان (بينهم 18.5مليون هندي أبيدوا ودمرت قراهم ومدنهم) ينتمون إلى أكثر من 400 أمة وشعب ـــ ووصفت أمريكا هذه الإبادات بأنها أضرار هامشية لنشر الحضارة !! ، وخاضت أمريكا في إبادة كل هؤلاء البشر وفق المعلوم والموثق 93 حربا جرثومية شاملة ، وتفصيل هذه الحروب أورده الكاتب الأمريكي هنري دوبيتر في كتابه " أرقامهم التي هزلت " في الجزء الخاص بأنواع الحروب الجرثومية التي أبيد بها الهنود الحمر بـــ 41 حربا بالجدري ،

---

[1]) موقف الغرب من الاسلام محاصرة وابادة زينب عبد العزيز ص223

و4 بالطاعون ، و17 بالحصبة ، و10 بالأنفلونزا ، و25 بالسل والديفتريا والتيفوس والكوليرا ، وقد كان لهذه الحروب الجرثومية آثارا وبائية شاملة اجتاحت المنطقة من فلوريدا في الجنوب الشرقي إلى أرغون في الشمال الغربي ، بل إن جماعات وشعوب وصلتها الأوبئة أبيدت بها قبل أن ترى وجه الإنسان الأمريكي الأبيض .[١]

يقول احد النشطاء الامريكان : (مايكل هولي ايغل) عن حديثه عن قتل الهند الحمر : تاريخنا مكتوب بالحبر الأبيض، إن أول ما يفعله المنتصر هو محو تاريخ المهزومين ! ويا الله ما اغزر دموعهم فوق دماء ضحاياهم ! وما اسهل ان يسرقوا وجودهم من ضمير الأرض ! هذه واحدة من الإبادات الكثيرة التي واجهناها وسيواجهها الفلسطينيون .. إن جلادنا المقدس واحد " [٢]

ولقد " أجرى كل من جيف سيمون ونعوم تشومسكي مَسْحًا للجرائم الأمريكية لبيان كيف طورت الولايات المتحدة قدرتها على التطهير العرقي والإبادة الجماعية باستعمال تقنية حديثة، بدءًا من الحرب العالمية الثانية وحتى الآن، ومن تلك الجرائم الكثيرة أن الجنرال جورج مارشال (رئيس الأركان) قد أمر مساعديه بتخطيط هجمات حارقة ، تحرق الهياكل الخشبية والورقية للمدن اليابانية الكثيفة السكان .

وفي إحدى الليالي دمّرت 334 طائرة أمريكية ما مساحته 16 ميلاً مربعًا من طوكيو بإسقاط القنابل الحارقة ، وقتلت 100 ألف شخص، وشردت مليون نسمة. ولاحظ الجنرال كيرتس لوماي –بارتياح!!– أن الرجال والنساء والأطفال اليابانيين قد أُحرقوا، وتم غليهم وخبزهم حتى الموت. كانت الحرارة شديدة جدًّا حتى إن الماء قد وصل في القنوات إلى درجة الغليان، وذابت الهياكل المعدنية، وتفجر الناس في ألسنة من اللهب. وتعرض أثناء الحرب ما يقرب من 64 مدينة يابانية، فضلاً عن هيروشيما وناجازاكي، إلى مثل هذا النوع من الهجوم. ويشير أحد التقديرات إلى مقتل زهاء

---

١) لماذا يكرهوننا ناصر الزمل ص 39 مكتبةالعبيكان ط1425/1هـ 2004م نقلا عن حق التضحية بالآخر امريكا والابادات الجماعية منير العكش ، رياض الريس للكتب والنشر بيروت 2002م

٢) امريكا والابادات الجماعية ص 7 .

400 ألف شخص بهذه الطريقة. وكان هذا تمهيدًا لعمليات الإبادة التي ارتكبتها الولايات المتحدة ضد أقطار أخرى لم تهدد واشنطن.

وقد ذبحت الولايات المتحدة بين عامي 1952م و1973م (في تقدير معتدل!) زهاء عشرة ملايين صيني وكوري وفيتنامي ولاوسي وكمبودي. ويشير أحد التقديرات إلى مقتل مليوني كوري شمالي في الحرب الكورية، وكثير منهم قُتلوا في الحرائق العاصفة في بيونج يانج ومدن رئيسية أخرى، ويذكرنا هذا بالهجمات الحارقة على طوكيو.

وذكر الراهب البوذي الفيتنامي "ثيتش ثين هاو" أنه بحلول منتصف عام 1963م سببت حرب فيتنام مقتل 160 ألف شخص، وتعذيب وتشويه 700 ألف شخص ، واغتصاب 31 ألف امرأة ، ونزعت أحشاء 3000 شخص وهم أحياء ، وأحرق 4000 حتى الموت ، ودمر ألف معبد ، وهوجمت 46 قرية بالمواد الكيماوية السامة .. وأدى القصف الأمريكي لهانوي وهايفونغ في فترة أعياد الميلاد وعام 1972م إلى إصابة أكثر من 30 ألف طفل بالصمم الدائم.

ولا يتسع المجال هنا لنتناول حرب الخليج وسقوط بغداد بتفاصيلها وكيفية نسج خيوطها ، وتنفيذ مخططها اللإنساني ، ولكن نشير إلى كيف ضرب الشعب العراقي والمنشآت المدنية العراقية في سرعة وبانتقامية لا رحمة ، ولا منطق فيها ، سوى منطق " رعاة البقر " الذي نشأت عليه الولايات المتحدة :

في عاصفة الصحراء كان القصف الجو الأمريكي والبريطاني لبغداد الذي بدأ في 16/كانون الثاني /يناير 1991م واستمر لمدة 42 يوما ، كان قصفا شاملا وبربريا لم يسبق له مثيل في التاريخ الإنساني ـــ أو بالأحرى التاريخ اللإنساني ! يشير جيف سايمونز " الكاتب البريطاني في كتابه "التنكيل بالعراق " تلقى العراق خلال حرب الخليج الثانية 940 ألف قذيفة يورانيوم ، وهو ما يساوي 350 طنا من اليورانيوم المنضب ، هي فقط مخلفات القصف و14 ألف قذيفة دبابة ، وقصفت المنطقة بحوالي 50ألف صاروخ و 88 ألف طن من القنابل ، وهو ما يعادل سبعة أضعاف القوة التدميرية التي تعرضت لها مدينتا هيروشيما وناكازاكي اليابانيتان بعد قصفهما بالقنابل النووية الأميركية في نهاية الحر ب العالمية الثانية "

أسفر هذا الهجوم الجوي عن قتل ما بين 100 ألف و200 ألف عراقي وجرح ما بين 300 ألف و700 ألف آخرين .

واستهدف بتعمد تدمير البنية الأساسية المدنية للعراق ، من محطات اتصالات ، وكهرباء ، ومصانع ، ومعامل ، ومنشآت نفطية ، ومخازن للحبوب ، ومواد تموينية ، وأسواق مركزية ، ومحطات ضخ المياه ، ومنازل ، حتى الملاجئ التي احتمت فيها الجماهير العراقية لم تكن ملاذا آمنا لهم أمام القصف الصاروخي البري والجوي والبحري المركز على مدى ستة أسابيع .

فقد قصف الولايات المتحدة في إحدى غاراتها الجوية في 12شباط /فبراير 1991م ملجأ العامرية وقتلت أكثر من 400 مدني وأصابت أكثر من 1500 آخرين ، العديد منهم من النساء والأطفال بحجة أن هذا الموقع كان غطاء لقاعدة عسكرية متقدمة للجيش العراقي !!

وفي الساعات الـــ 40 الأخيرة للحرب ، وقبل أن يعلن بوش وقف إطلاق النار في 28 شباط/فبراير ، صعدت القوات الأمريكية والبريطانية هجومها المستمر ضد الجنود العراقيين المتراجعين .

الحربية الأمريكية والبريطانية قتلت الآلف منهم بالقنابل وأحرقتهم أحياء عندما حاولا الهروب من حجم القصف ، كما استخدمت القوات الأمريكية جرافات مقطورة بالدبابات لقتل ودفن آلاف من الجنود العراقيين أحياء عندما حاولوا الاستسلام .[١]

هذه الحرب الأمريكية البشعة أعادت العراق " إلى ما قبل العصر الصناعي " وفقا لتعبير رئيس البعثة التي انتدبتها الأمم المتحدة بعد حرب الخليج مباشرة للاطلاع على آثار الحرب في العراق ، حقا ألم يقل وزير الخارجية الأميركي الأسبق " جيمس بيكر " قبل بداية الحرب : إننا سنعيد العراق إلى العصور الوسطى "[٢]

وحين سئلت مراسلة (سي بي أس) في 1996/5/11م وزيرة الخارجية الأمريكية السابقة مادلين اولبريت عن استقالة اثنين من مفوضي الأمم المتحدة مسؤولين عن تنسق برامجها في العراق وهما " دنيس هاليداي " و " هانزفون سبونيك " كلاهما قدم

---

[١]) لماذا يكرهوننا ناصر الزمل ص216-218

[٢]) العراق حرب من اجل الهيمنة والنفط مركزالدراسات بحث منشور على الانترنت

استقالته لأنه لم يستطع أن يحمل على ضميره وزر وفاة نصف مليون طفل عراقي راحوا ضحية نقص الغذاء والدواء بسبب الحصار الذي تفرضه الولايات المتحدة " باسم الأمم المتحدة " على العراق ، سمعنا أن نصف مليون طفل عراقي توفوا حتى الآن ، وهذا العدد يفوق بكثير عدد الأطفال الذين ماتوا في هيروشيما وأنت تعلمين بذلك فهل يستحقون ذلك ؟

فأجابت أولبرايت : " أنا اعتقد أن الخيار صعب للغاية ، ولكن هل يستحقون ذلك أم لا ، نعم أنا اعتقد أنهم يستحقون ذلك ، ربما انه ثمن غال كما تقول ، لكننا نرى أن الهدف الذي نطلبه يساوي ذلك الثمن وأكثر منه "

في 2003/5/29 نشرت جريدة لوموند الفرنسية تقريرا صادرا عن البنتاجون بعنوان " العتاد الحربي لقوى التحالف كان اكبر مما تم إعلانه " وقد جاء به : بدلا من 1200 طائرة معلنة ، استخدم التحالف في الواقع 1801 طائرة ألقت على العراق 29199 قنبلة وقذيفة ، منها 9251 لم تكن موجهة بدقة ، إن الوقود المستخدم يساوي ما قد تستخدمه طائرة يوبنج ـــ 737 في طيران متواصل ليل نهار لمدة عشرين عاما على التوالي !

" من بين هذه الطائرات الـــ1801 ، كانت 113 بريطانية و22 استرالية ، و3 كندية ، إضافة إلى 250 مزودة وقود أثناء الطيران ، وقد أحصى الجنرال مايكل كوزلي عدد 311957 قذيفة سعة 33 مم و16901 سعة 20 مم ، تم إطلاقها من مدافع الطائرات ، ونصف الـــ41404 طلعات جوية كانت لمساندة الفرق الأرضية ." [1]

ونكتفي بهذا القدر و هذه هي حال الذين يصموننا بالغزو والقتال ، وها هي أعمالهم المخزية لا يزالون يقترفونها ليل نهار بمرأى ومسمع من العالم " القرية الواحدة " كما يدعون !! وأي بلاد الله ، يا ترى ، قد سلمت من عدوانهم ، وما تخضبت أراضيها بدماء أبنائها الزكية ؟ وأية هذه القارات العظيمة من آسيا وأفريقية وأمريكا ما ذاقت وبال حروبهم الملعونة ؟ . .

---

[1]) حرب صليبية بكل المقاييس أ .د زينب عبد العزيز ص 65

جدول مقارنة

الحرب في الإسلام	الحرب عند غير المسلمين
اسمها الجهاد	اسمها الحرب
ليست مقصودة لذاتها	مقصودة لذاتها
القتال في سبيل الله وحده .	القتال في سبيل الشيطان
حتى لا تكون فتنة ويكون الدين لله ، ويستتب الأمن والسلم في ربوع الأرض .	إكراه البشر للخضوع والذل وتسخيرهم لأغراض دنيوية وأهواء شخصية .
الغرض منها : درء الشر ودفع البغي والعدوان ، وحماية الدعوة الإسلامية والداعين إليها من تسلط الطاغين وظلم الظالمين	الغرض منها : البغي وسفك الدماء طمعا في التوسيع والاستعمار ونهب ثروات الشعوب
القتال قاصرا على المقاتلين في المعركة فلا يتعدى إلى غيرهم من الذين لم يشتركوا في القتال كالأطفال والشيوخ والنساء والرهبان والعمال والفلاحين . وكذلك كل من له صفة حيادية كمراسلي الصحف والأخبار .	قتل الأطفال والنساء والشيوخ والعباد وغيرهم من الأبرياء لإدخال الرعب في قلوب الناس . وتعمد قصف الصحفيين حتى لا تنشر الحقائق .
يفضل الإسلام استخدام الطرق السلمية لتحقيق أهدافه وغاياته فحرم الاعتداء وأمر باحترام العهود وحرم الغدر والأخذ على غرة	العداء الديني والتعصب الممقوت ، والغدر والخيانة وعدم الوفاء بالمعاهدات الدولية والأعراف الإنسانية .
نهى الإسلام عن قتل الحيوان وقطع الأشجار والثمار	إهلاك الحرث والنسل والسعي في الأرض فسادا .
حرم تخريب العمران والسلب والنهب	دك المباني وهدم الجسور وتدمير البنى التحتية للدولة ، ونهب ثروات الأمة ومتاحفها وسلب البيوت والوزارات.

حرم الإجهاز على الجريح أو الاعتداء على المدنيين .	تعذيبهم حتى الموت والإجهاز على الجرحى
حرم التمثيل بالجثث	التمثيل بجثث القتلى ..
اوجب حسن معاملة الأسير لأنه أصبح غير قادر على مباشرة القتال	استعمال الأساليب الوحشية والمقززة في معسكرات الاعتقال .. والتشفي من الأسرى بصور غير إنسانية
ليست انتقامية وإنما تستهدف الخير للجميع وإحقاق الحق . ونشر العدل .	سلب الثروات الأمم ، وإشباع لذة القهر والسيطرة أو تامين المصالح الاقتصادية أو العسكرية أو السياسية .
منع الإسلام حرب التوسع ، وبسط النفوذ ، وسيادة القوي ، ومنع حرب الانتقام والعدوان .. ومنع حرب التخريب والتدمير .. ومن هذا المنطلق يحق القول أن الإسلام يحرم اللجوء إلى استعمال الغازات السامة الخانقة ، أو الحارقة التي تترك تشوهات في الجسم .	إلقاء رؤوس النووية والغازات السامة والمواد الحارقة دون تمييز من الأمور المعتادة وكأنها شيء مباح
يأمر الإسلام بإيقاف الحرب فورا متى كف العدو ، وألقى السلاح ، وجنح للسلم .	حب الإبادة الجماعية والاستعباد الشخصي أو القومي ، وتستخدم كل أساليب المكر والخديعة
تتسم بالعدل والرحمة والايجابية والإنسانية .	لا تتسم بالرحمة أو الإنسانية او العدالة او الايجابية

الخاتمة

إن " الإسلام لا يعرف قتالا إلا في هذا السبيل (في سبيل الله) لا يعرف القتال للغنيمة ولا يعرف القتال للسيطرة ..

ولا يعرف القتال للمجد الشخصي أو القومي !

إنه لا يقاتل للاستيلاء على الأرض ..

ولا للاستيلاء على السكان . .

لا يقاتل ليجد الخامات للصناعات ، والأسواق للمنتجات ؛ أو لرؤوس الأموال يستثمرها في المستعمرات وشبه المستعمرات !

إنه لا يقاتل لمجد شخص . ولا لمجد بيت . ولا لمجد طبقة . ولا لمجد دولة ، ولا لمجد أمة . ولا لمجد جنس ..

إنما يقاتل في سبيل الله ..

لإعلاء كلمة الله في الأرض ..

ولتمكين منهجه من تصريف الحياة ..

ولتمتع البشرية بخيرات هذا المنهج ، وعدله المطلق "بين الناس" ..

مع ترك كل فرد حرا في اختيار العقيدة التي يقتنع بها . .

في ظل هذا المنهج الرباني الإنساني العالمي العام . .

وحين يخرج المسلم ليقاتل في سبيل الله ، بقصد إعلاء كلمة الله ، وتمكين منهجه في الحياة . ثم يقتل . . يكون شهيدا . وينال مقام الشهداء عند الله . .

وحين يخرج لأي هدف آخر – غير هذا الهدف – لا يسمى " شهيدًا " ولا ينتظر أجره عند الله ، بل عند صاحب الهدف الأخر الذي خرج له . . والذين يصفونه حينئذ بأنه "شهيد" يفترون على الله الكذب ؛ ويزكون أنفسهم أو غيرهم بغير ما يزكي به الله الناس . افتراء على الله ! [1]

---

[1]) في ظلال القرآن 70/2

إن الثورة الآن في امتحان صعب جدا ، فالكل سوف يتهافت عليها بعد الانتصارات المشرفة ، والاعمال البطولية على الجانب العسكري والمدني والانساني الرائعة للجيش الحر .

فالعالم لن يترك الجيش الحر بقطف الثمرة ، كما فعلوا وللاسف الشديد مع الجهاد الافغاني ، فالجهاد الافغاني كان عاملا أساسيا في سقوط الشيوعية ، وحتى لا يؤتي ثماره التف عليه الصديق والعدو فجاء كرزاي العلماني العدو للاسلام والمسلمين .

وهاهم الآن يدورون كما يدور الحمار في الرحى يبثون سمومهم ومخططاتهم ومؤامراتهم لإبعاد الجيش الحر عن الواجهة ، وتشويه صورته بعد أن منع عنه السلاح والامدادات العسكرية .

ولذا على الجيش الحر ومن ورائه الثوار الإنتباه والحذر مما يدور في أقبية السياسة البعيدة كل البعد عن الواقع ، وما يجري على الارض .

فتقدم أيها الجيش الحر ، متوكلا على ربك ، بعد أن خذلك العالم كله في الشرق والغرب.

تقدم واجعل العالم كله يرىسمو غايتك ، وعدالة هدفك ، وسلامة وسيلتك ، وشجاعة إيمانك ..

تقدم ولا تفرط في الراية ، مستعليا بإيمانك ، وثباتك وصبرك ، والله معك .

{ وَلاَ تَهِنُوا وَلاَ تَحْزَنُوا وَأَنتُمُ الأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ } (آل عمران : 139)

{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَنْصُرُوا اللّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ } (محمد : 7)

المراجع

(١) القرآن الكريم

(٢) كتب الصحاح والسنن

(٣) الأحكام السلطانية الماوردي دار الكتاب العربي ط3/1420هـ -1999

(٤) أسد الغابة في معرفة الصحابة ابن الاثير تحقيق علي معوض وعادل عبد الموجود ، دار الكتب العلمية ط1/1415هـ 1994م

(٥) الإسلام بين الشرق والغرب علي عزت بيجوفيتش ، مؤسسة بافارياط1/1414هـ 1994م

(٦) الإسلام في وجه الزحف الأحمر للشيخ محمد الغزالي مكتبة الامل ، الكويت .

(٧) الإمبراطورية بعد احتلال العراق بول كيندي ، نعوم تشومسكي واخرون ط1/1424هـ 2003م ص 144 ترجمها وقدم لها تركي الزميلي منشورات موقع الإسلام اليوم .

(٨) البداية والنهاية مكتبة المعارف بيروت بدون تاريخ

(٩) بين العقيدة والقيادة محمود شيت خطاب دار الفكر

(١٠) تاريخ الأمم والملوك محمد بن جرير الطبري دار الكتب العلمية بيروت ط1/1407هـ

(١١) الثقافة الإسلامية ثقافة المسلم وتحديات العصر محمد ابو يحيى واخرون دارالمنهاج ط4/1423هـ 2003م

(١٢) تفسير المنار محمد رشيد رضا ، دار المعرفة بيروت ط2

(١٣) تفسير القرآن العظيم ابو الفدلء اسماعيل بن كثير بيروت 1402هـ 1982م

(١٤) الجهاد الافغاني ودلالاته محمد قطب مطبعة المدني

(١٥) الجهاد في سبيل الله حسن البنا ، سيد قطب ، ابوالاعلى المودودي ، الاتحاد العالمي للمنظمات الطلابية 1398هـ 1978م

(١٦) حجة الله البالغة احمد المعروف بشاه ولي الله بن عبد الرحيم الدهلوي ط1418/1هـ 1997م دار المعرفة

(١٧) حرب صليبية بكل المقاييس أ.د. زينب عبد العزيز دار الكتاب العربي ط2003/1م .

(١٨) حياة الصحابة محمد يوسف الكاندهلوي مطبعة السعادة ، مصر 1968م

(١٩) خاتم النبيين ، محمد ابو زهرة ، دار الفكر العربي مصر ، 1397هـ 1977م

(٢٠) الخراج ابو يوسف يعقوب بن ابراهيم تحقيق د. محمد البنا دار الاصلاح مصر 1401هـ 1981م

(٢١) خصائص التصور الاسلامي ومقوماته سيد قطب دار الشروق

(٢٢) الخصائص العامة للاسلام يوسف القرضاوي مؤسسة الرسالة ط1416/9هـ 1996م

(٢٣) الحلال والحرام يوسف القرضاوي المكتب الاسلامي ط 1415/15هـ 1994م

(٢٤) دراسات وبحوث في الفكر الاسلامي المعاصر د. فتحي الدريني ط 1 دار قتيبة 1418هـ 1998م

(٢٥) الدعوة الإسلامية دعوة عالمية محمد الرواي مكتبةالعبيكان ط1415/1هـ 1995م

(٢٦) الدول المارقة نعومي تشومسكي تعريب اسامة اسبر مكتبة العبيكان ط1425/1هـ 2004م

(٢٧) ركائز الايمان محمد قطب دار اشبيليا ط1417/1هـ 1997م

(٢٨) روائع البيان تفسير ايات الاحكام محمد علي الصابوني دار أحياء التراث العربي 1418هـ 1997م

(٢٩) زاد المعاد في هدي خير العباد ابن القيم تحقيق : شعيب الأرناؤوط مؤسسة الرسالة

(٣٠) السياسة الشرعية بن تيمية مكتبة دار البيان ط 2/1413هـ 1993م تحقيق بشير عيون .

(٣١) السيرة النبوية ابن هشام تحقيق السقا

(٣٢) السيرة النبوية ابوالحسن الندوي المطبعة العصرية بيروت 1396هـ 1976م

(٣٣) غير المسلمين في المجتمع الاسلامي القرضاوي مؤسسة الرسالة

(٣٤) الفاروق القائد اللواء الركن محمود شيت خطاب ط 4/1391هـ 1971م

(٣٥) فتوح البلدان أحمد البلاذري دار الكتب العلمية 1403هـ تحقيق رضوان محمد رضوان

(٣٦) فقه السنة سيد سابق دار الكتاب العربي بيروت ط3/1397هـ 1977م

(٣٧) في ظلال السيرة النبوية ، علاء الدين آل رشي ، خلود معطي ، دار الفكر ط1/1422هـ 2001م

(٣٨) في ظلال القرآن سيد قطب دار الشروق ، دار العلم جدة ط1406هـ

(٣٩) قصص من الشمائل المحمدية احمد عز الدين عبد الله مكتبةالتوبة ط1/1424هـ 2003م

(٤٠) الكامل في التاريخ ابن الاثير دار الكتاب العربي ط3/1422هـ 2001م

(٤١) تاريخ بن خلدون ، بن خلدون ، بيت الافكار الدولية .

(٤٢) المنتظم في تاريخ السلوك والامم ابن الجوزي ، دائرة المعارف العثمانية ، حيدر اباد، الهند ط1/1358

(٤٣) كيف نكتب التاريخ الإسلام محمد قطب دار الوطن 1412هـ

(٤٤) لسان العرب ابن منظور دار صادر بيروت .

(٤٥) لماذا يكرهوننا ناصر الزمل مكتبةالعبيكان ط1/1425هـ 2004م

(٤٦) ماذا خسرالعالم بانحطاط المسلمين ابو الحسن الندوي دار القلم .

(٤٧) مختصر تفسير بن كثير دار القرآن الكريم ط7/1981م

(٤٨) المدخل لدراسة الشريعة عبد الكريم زيدان مؤسسة الرسالة 1989م

(٤٩) مدخل لمعرفة الإسلام يوسف القرضاوي ط1422/1هـ 2001 م

(٥٠) المستقبل لهذا الدين سيد قطب دارالشروق

(٥١) المسيحية دكتور أحمد شلبي مكتبة النهضةالمصرية ط1990/9م

(٥٢) معالم الثقافة الإسلامية عبد الكريم عثمان الرسالة ط 1413/16هـ 1992م

(٥٣) المعجم المفهرس لالفاظ القرآن محمد فؤاد عبد الباقي . دار الفكر ط1418/4هـ 1997م

(٥٤) مقدمة بن خلدون مؤسسة الكتب الثقافية .

(٥٥) من روائع حضارتنا مصطفىالسباعي المكتب الاسلامي ط 1405/4هـ 1985م

(٥٦) موسوعة التاريخ الاسلامي المجلد الأول السيرة النبويةالعطرة مكتبة النهضة المصرية د. احمد شلبي ط1988/13م

(٥٧) الموسوعة العربية الميسرة دار نهضة لبنان للطبع والنشر 1406هـ 1986م

(٥٨) موقف الغرب من الإسلام محاصرة وإبادة أ.د. زينب عبد العزيز ، دارالكتاب العربي ط2004/1م

(٥٩) نظام السلم والحرب في الإسلام مصطفى السباعي دار الوراق ط1419/2هـ 1998م

الفهرس

الاهداء	2
المقدمة الثانية	3
مقدمة	4
تمهيد	7
لفظ الحرب	8
لفظ الجهاد	9
نظام الحرب	14
أهداف الجهاد في سبيل الله	17
وسائل الجهاد	22
آداب الجهاد	24

1) عدم تمني لقاء العدو
2) تبليغ الدعوة باللسان يسبق الجهاد بالسيف
3) عدم التمثيل بالقتلى
4) عدم قتل الأطفال والنساء .
5) الاحسان الىالاسرى
6) عدم الفساد والتخريب
7) عدم الغلول
8) عدم النهبى
9) عدم اخفار ذمة المجير ولو كان امرأة
10) الوفاء بالعهد
11) عدم التفريق بين الام وولدها من السبي
12) عدم الغدر

أمثلة	37
مميزات وخصائص الجهاد	40

- دعوية
- دفاعية
- تحررية
- اخلاقية
- إنسانية
- عادلة

السيف ونشر الإسلام 45

هديه ﷺ في العفو والرحمة

براهين تاريخية

= في مكة

= صلح الديبية

= أين الدم في غزوات الرسول ؟

= اسلام الصليبين

= اسلام المغول

= الإسلام في افريقية

قضية حق 56

خصائص الإسلام ومقوماته 58

- الربانية
- التطور والثبات
- الواقعية
- الايجابية
- الشمول
- التكامل (أو الترابط) :
- التوازن

اثر عقيدة الإسلام على الحياة الانسانية

أهداف ووسائل حروبهم 89

- النصرانية
- تقديس الحرب
- الحرب الاستباقية
- اطار المصالح
- تبرير الوحشية والإرهاب
- الإفساد الخلقي

أمثلة تاريخية 96

- فيما بينهم
- الحرب الصليبية
- حرب التتار
- محاكم التفتيش
- وفي روسيا
- وفي الجزائر مليون شهيد
- وفي اوغندا
- هيروشيما وناغازاكي
- وفي البوسنة
- حروب أمريكا
- حرب الخليج

جدول مقارنة 112

الخاتمة 114

المراجع 116

الفهرس 121